روائع البيان في تفسير آيات الرزق في القرآن

المؤلف

أحمد جوهر

مكتبة الإيمان - المنصورة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

ت: ٢٢٥٧٨٨٢

آيات الرزق في القرآن الكريم ومعانيها الاقتصادية

الرزق يقال للعطاء الجاري دنيوياً كان أو أخروياً وللنصب تارة ولما يصل إلى الجوف ويتغطى به تارة [١] .

والرزق: ما ينتفع به والجمع أرزاق . . والرزق: العطاء وهو مصدر قولك رزق الله [٢] .

والرزق: هو ما ساقه الله تعالى إلى الإنسان فانتفع به سواء كان متصفاً بالحل أو الحرمة أو لم يكن [٣] .

* * * * *

ابتغاء الفضل من الله

١ - الآية: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ﴾ (البقرة: ١٩٨) .

البيان: كل ابتغاء الرزق وابتغاء الفضل لا يصح أن يغيب عن الذهن مبتغي الرزق والفضل أن كله من عند الله . إياك أن تقول: قوة أسباب أو ذكاء أو احتياط ، فلا شيء من ذلك كله ؛ لأن الرزق كله من الله هو فضل من الله ولا ضرر أن تبتغي الفضل من الرب لأنه هو الخالق وهو المربي ونحن مربوبون له فلا غضاضة أن تطلب الفضل من الله[٤] .

٢ - الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ

---

(١) الأصفهاني ١٩٤ .

(٢) ابن منظور: لسان العرب (جـ ١٠ ص ١١٥) .

(٣) الجرجاني (جـ٣ ص ٧٠) .

(٤) تفسير الشعراوي جـ ١١ ص ٨٦٤ .

وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ١) .

البيان: حرم الله آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا وهم يقصدون البيت الحرام للتجارة الحلال وطلب الرضوان من الله حجاجاً أو غير حجاج وأعطاهم الأمان في حرمة بيته الحرام [١] .

٣ - الآية: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ (الإسراء: ١٢) .

البيان: وجعلنا الليل والنهار بهيئاتهما وتعاقبهما علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا فأزلنا من الليل فلا يستبان منه شيء ، وكانت علامته ظلاماً لا تسرى فيه الشمس تلك العلامة الكبرى . وجعلنا النهار مبصرا وترى فيه الشمس الآية الكبرى لتتجهوا في ضوء النهار للتصرف في معاشكم ، ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين وحساب الأشهر والأيام وكل شيء لكم فيه مصلحة بيّنه لكم بياناً واضحاً لتقوم عليكم الحجة بعد تمام النعمة [٢] .

٤ - الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٩) .

البيان: اللقطة الثالثة في المشهد لقطة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ فهذه هي صور مشاعرهم الدائمة الثابتة . كل ما يشغل بالهم ، وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل ورضوانا . ولا

(١) سيد قطب: جـ ٢ ص ٨٣٨ .
(٢) المنتخب: ص ٤١٠ .

شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه وينشغلون به [(١)] .

٥ - الآية: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحشر: ٨) .

البيان: وكذلك يعطي ما رده الله على رسوله من أقوال أهل القرى الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يرجون زيادة من الله في أرزاقهم ورضوانا وينصرون الله ورسوله بنفوسهم وأموالهم أولئك هم المؤمنون [(٢)] .

* * * * *

الابتغاء من فضل الله

الآية: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ١٤) .

البيان: وهو الذي ذلل البحر وجعله في خدمتكم ، لتصطادوا ولتأكلوا منه لحم الأسماك طرياً وطازجاً ، وتستخرجوا منه ما تتحلون به كالمرجان واللؤلؤ . سخره الله لذلك لتنتفعوا بما فيه وتطلبوا من فضل الله الرزق عن طريق التجارة وغيرها . ولتشكروه على ما هيأه لكم وذللّه لخدمتكم [(٣)] .

١ - الآية: ﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (الإسراء: ٦٦) .

البيان: ربكم هو وحده الذي يجري لكم السفن في البحر لتطلبوا من فضله الأرباح بالتجارة وغيرها إنه دائم الرحمة بكم [(٤)] .

٢ - الآية: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ

(١) سيد قطب: جـ ٦ ص ٢٣٣٢ .
(٢) المنتخب: ص ٨١٦ .
(٣) المنتخب: ص ٣٨٦ .
(٤) المنتخب: ص ٤١٩ .

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

البيان: ومن رحمة الله بخلقه أن خلق لهم الليل والنهار وجعلهما متعاقبين . ليستريحوا في الليل ، وليسعوا على رزقهم ومنافعهم بالنهار وليدركوا فضل الله عليهم [١] .

٣ - الآية: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (الروم: ٢٣) .

البيان: ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن هيأ لكم أسباب الراحة بمنامكم ويسر لكم طلب الرزق ليلاً ونهاراً من فضله الواسع . إن في ذلك لدلالة لقوم ينتفعون بما يسمعون .

٤ - الآية: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦) .

البيان: ومن الدلائل على قدرة الله ورحمته أنه يبعث الرياح مبشرات بالمطر الذي يكون لكم رياً وسقياً وليهبكم من فيض إحسانه المنافع التي نشأت من المطر ولتجري السفن في الماء بأمر الله وقدرته ولتطلبوا الرزق من فضله بالتجارة واستغلال ما في البحر ولتشكروا لله نعمه بطاعتكم له وعبادتكم إياه [٢] .

٥ - الآية: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (فاطر: ١٢) .

البيان: وما يستوي البحران في علمنا وتقديرنا وإن اشتركا في بعض منافعهما هذا ماؤه يقطع العطش لشدة عذوبته وحلاوته وسهولة تناوله ، وهذا ملح شديد الملوحة . ومن كل منهما تأكلون لحماً طرياً مما تصيدون من الأسماك ،

---

(١) المنتخب: ص ٥٨٦ .

(٢) المنتخب: ص ٦٠٥ .

وتستخرجون من الماء والملح ما تتخذونه زينة كاللؤلؤ والمرجان . وترى – أيها المشاهد – السفن تجري فيه شاقة الماء بسرعتها ، لتطلبوا شيئاً من فضل الله بالتجارة ولعلكم تشكرون لربكم هذه النعمة [١] .

٦ – الآية: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الجاثية: ١٢) .

البيان: الله وحده هو الذي ذلل لكم البحر لتسير السفن فيه بإذنه وقدرته حاملة لكم ولحاجتكم ، ولتطلبوا من فضل الله من خيرات البحر باستفادة علم وتجارة وجهاد وهدية وصيد واستخراج آنية . ولعلكم تشكرون نعمه بإخلاص الدين لله [٢] .

٧ – الآية: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة: ١٠) .

البيان: فإذا أديتم الصلاة فتفرقوا في الأرض لمصالحكم واطلبوا من فضل الله واذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم كثيرا لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة [٣] .

٨ – الآية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل: ٢٠) .

البيان: علم أن سيكون منكم مرضى يشق عليهم قيام الليل وآخرون ينتقلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون الله وآخرون يجاهدون في سبيل

---

(١) المنتخب: ص ٦٠٨ .

(٢) المنتخب: ص ٧٣٩ .

(٣) المنتخب: ص ٨٢٧ .

الله لإعلاء كلمته فاقرءوا ما تيسر من القرآن وواظبوا على فرائض الصلاة وأدوا الزكاة الواجبة عليهم [١].

١٠ - الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه: ١٣٢).

البيان: هذا وإن كان خطابا للنبي عليه السلام فالمراد به جميع الخلق لأنه تعالى يرزقهم ولا يسترزقهم وينفعهم ولا ينتفع بهم فكان ذلك أبلغ في الامتنان عليهم [٢].

١١ - الآية: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٧).

البيان: فقد أخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحواله فهو خالقهم ورازقهم [٣].

* * * * *

إخفاء رزق الغد

الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان: ٣٤).

البيان: ما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير وشر ووفاق وشقاق [٤].

- إنك لا تعلم معاشك ولا تعلم ماذا تكسب غدا مع أنه فعلك وزمانك؟ فالله ما أعلمك كسب غدك مع أن لك فيه فوائد تبني عليها الأمور من يومك وإنما لم يعلمك لكي تكون في كل وقت بسبب الرزق راجعاً إلى الله تعالى متوكلاً عليه [٥].

* * * * *

(١) المنتخب: ص ٨٦٤ .
(٢) الماوردي: م ٣ ص ٣٥ .
(٣) ابن كثير: م ٦ ص ٤٢٥ .
(٤) القشيري: جـ٣ ص ١٣٧ .
(٥) الرازي: جـ ٢٥ ص ١٦٦ .

إسباغ النعم ظاهرة وباطنة

الآيـة ﴿ أَلَـمْ تَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (لقمان: ٢٠) .

البيان: إسباغ النعم الإسباغ: ما يفضل عن قدر الحاجة ولا يحتاج معه إلى الزيادة . نعمة ظاهرة وباطنة فالظاهرة وجود النعمة . والباطنة شهود النعمة . والظاهرة: الدنيوية ، والباطنية: الدنيوية . والظاهرة حسن الخلق والباطنة حسن الخلق . الظاهرة في الأموال ونمائها . والباطنة في الأحوال وصفائها . الظاهرة صحبة الصالحين . والباطنة حفظ حرمتهم .

النعمة الظاهرة: أن تصل إلى الله ، النعمة الباطنة أن تبقى مع الله [1] .

الاستخلاف في مال الله الآية ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الحديد: ٧) .

البيان: المراد بالإنفاق المأمور به الذي يدعو إليه الإيمان بعد حصول الإيمان . وهو الإنفاق على الفقير وتخصيص الإنفاق بالذكر تنويه بشأنه وقد كان أهل الجاهلية لا ينفقون إلا في الملذات والمقامرة ومعافرة الخمر .

والاستخلاف في المال تنبيه على غفلة السامعين عن كون المال مال الله جعل الناس كالخلائف عنه في التصرف فيه فلما أمرهم بالإنفاق منها على عباده كان حقا عليهم أن يمتثلوا لذلك [2] .

* * * * *

(١) القشيري: جـ٣ ص ١٣٣ .
(٢) ابن عاشور: جـ٢٧ ص ٣٦٨ .

الاستدراج بالنعم

١ - الآيـة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٢ - ٤٤).

البيان: الآية تفيد أن البأساء والضراء وما يقابلهما من السراء والنعماء مما يتربى ويتهذب به الموفقون من الناس وإلا كانت النعم أشد وبالاً عليهم من النقم وهذا ثابت بالاختبار فلا خلاف في أن الشدائد مصلحة للعباد وأجدر للناس بالاستفادة من الحوادث المؤمن. كما جاء في الحديث رواه مسلم: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**» (رواه مسلم والإمام أحمد عن صهيب).

وجاء في الجامع الصغير: «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك من الاستدراج**»[١]، وفي رواية: «**فإنما ذلك منه استدراج**» (رواه الطبراني في المعجم الكبير، والإمام أحمد، والبيهقي في شعب الإيمان عن عقبة بن عامر).

٢ - الآية: ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ٥٥).

البيان: قد نهى الله سبحانه عن الإعجاب بأموال المنافقين وأولادهم أي بكثرتها - وهي شاغلة الإنسان لا محالة - لأنها ليست من النعمة التي تهتف لهم بالسعادة بل من النقمة التي تجرهم إلى الشقاء فإن الله الذي خولهم إياها إنما أراد بها

(١) المنار: رشيد رضا جـ٧ ص ٤١٤.

تعذيبهم في الحياة الدنيا بالإملاء والاستدراج وتوفيهم وهم كافرون [١] .

٣ - الآيـة: ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾ (المؤمنون: ٥٥ ، ٥٦) .

البيان: لما كان القوم في نعمة عظيمة في الدنيا جاز أن يظنوا أنها كالثواب المعجل لهم والأمر بخلاف ذلك وفيه وجهان:

الأول: أن هذا الإمداد ليس إلا استدراج لهم في المعاصي وهم يحسبونه مسارعة في الخيرات .

وثانيهما: إنما أعطاهم هذه النعم ليكونوا فارغي البال متمكنين من الاشتغال بتكاليف الله فإذا أعرضوا عن الحق والحالة هذه كان لزوم الحجة عليهم أقوى [٢] .

٤ - الآية: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ** ﴾ (الواقعة: ٤٥) .

البيان: المترف: قيل: هو المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع وقيل: المتبعين هوى أنفسهم ليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أوامر الله وارتكاب نواهيه وقيل: هو العاتي المستكبر عن قبول الحق والإذعان له وهؤلاء هو الذي أترفته النعمة أي أبطرته وأطغته .

وهم المنعمون بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم أن عذبوا بنقائضها [٣] .

* * * * *

الإطعام من رزق الله

الآيـة: ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** ﴾ (الحج: ٢٨) .

---

(١) الطباطبائي: جـ ٩ ص ٣٠٨ .

(٢) الرازي جـ ٢٣ ص ١٠٦ .

(٣) الألوسي: مجلد ١٤ جـ ٢٧ ص ١٤٤ .

البيان: ولـيذكروا اسـم الله في يوم عيد النحر والأيام الثلاثة بعده على ذبح ما رزقهـم ويسر لهم من الإبل والبقر والغنم فكلوا منها وأطعموا الذي أصابه البؤس والفقر .

يقـول تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة: ٦٠) .

احتجـت المعتزلة بهذه الآية على أن الرزق هو الحلال قالوا: لأن أقل درجات قولـه كلـوا واشربوا الإباحة وهذا يقتضي كون الرزق مباحا فلو وجد رزق حرام لكان ذلك الرزق حراماً وأنه غير جائز [١] .

ويقـول تعـالى: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة: ٨٨) .

يقـول الـرازي: هو حجة لأصحابنا على أن الرزق قد يكون حراماً . . . ولولا أن الـرزق قـد لا يكون حلالاً إن لم يكن لهذا التخصيص والتقييد فائدة . . . فكأنه قال: اقتصروا في الأكل على البعض واصرفوا البقية إلى الصدقات والخيرات [٢] .

ويقـول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (الملك: ٨٨) .

وقـال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (سبأ: ١٥) .

وقـال: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل: ١١٤) .

وقـال: ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ

---

(١) الرازي ١ / ٣٥٧ .
(٢) الرازي ٣ / ٤٤٢ .

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام: ١٤٢) .

* * * * *

إغناء العائل

الآية: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ (الضحى: ٨) .

البيان: عائلاً: أي فقيراً لا مال لك فأغناك بالقناعة ورضاك بما أعطاك . فقال الجبائي: المراد بها جميع المكلفين وإن كان الخطاب للنبي ﷺ [(١)] .

هناك قول ثاني في تفسير العائل: إنك كنت كثير العيال وهم الأمة فكفاك وقيل: فأغناهم بك لأنهم فقراء بسبب جهلهم وأنت صاحب العلم، فهداهم على يدك [(٢)] .

* * * * *

الإغناء من فضل الله

الآية: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٢ - ٣٣) .

البيان: الإسلام نظام متكامل فهو لا يفرض العفة إلا وقد هيأ لها أسبابها وجعلها ميسورة للأسوياء فلا يلجأ إلى الفاحشة إلا الذي يعدل عن الطريق النظيف الميسور عامداً غير مضطر . فإذا وجد في المجتمع الإسلامي أيامى فقراء وفقيرات تعجز مواردهم الخاصة عن الزواج فعلى الجماعة أن تزوجهم [(٣)] .

لا تكن رقة الحال مانعة من الزواج فإن الله سيهيئ وسائل العيش الكريم لمن

---

(١) الطبري: جـ٩ ص ٧٦٨ .

(٢) الرازي: م ١٦ جـ ٣١ ص ٢١٩ .

(٣) سيد قطب: جـ٤ ص ٢٥١٥ .

أراد إعفاف نفسه وفضل الله واسع لا يثقله إغناء الناس [١] .

* * * * *

الإغناء والإقناء

الآية: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ (النجم: ٤٨) .

البيان: أغنى يعني دفع حاجته ولم يتركه محتاجاً وقوله تعالى: ﴿ أَقْنَى ﴾ معناه وزاد عليه الإقناء قول الإغناء . **فالإغناء:** هو ما آتاه الله من العين واللسان وهداه إلى الارتضاع في صباه أو هو ما أعطاه الله تعالى من القوت واللباس المحتاج إليهما وفي الجملة كل ما دفع الله تعالى به الحاجة فهو إغناء وكل ما زاد عليه فهو إقناء[٢] .

* * * * *

الافتقار إلى الله

١ - الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (فاطر: ١٥) .

البيان: عُرف الفقراء بقصد أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم . وأثبت فقرهم إليه وغناه وليس كل غنى نافعاً بغناه إلا إذا كان الغنى جواداً منعماً فإذا جاد وأنعم حمده عليهم واستحق عليهم الحمد فذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده [٣] .

٢ - الآية: ﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلاَء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٨) .

---

(١) المنتخب: ص ٥٢٣ .

(٢) سيد قطب: جـ ١٦ ص ٣٤١٧ .

(٣) الزمخشري: جـ ٣ ص ٣٠٤ .

البيان: الله غني بنفسه وغني بوصفه وغناه كونه لا تتقيد مراداته.

أما العبد فهو فقير بنفسه لأنه لا يستغني عن مولاه في الابتداء منذ خلقه إلى الانتهاء وهو في دوام الأقوات مفتقر إلى مولاه.

والفقير الصادق من يشهد افتقاره إلى الله ومن افتقر إلى الله استغنى بالله. ومن افتقر إلى غير الله وقع في الذل والهوان الله غني عن طاعتكم وأنتم الفقراء إلى رحمته. الله غني لا يحتاج إليكم وأنتم الفقراء لأنكم لا بديل لكم عنه [1].

يقول تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٦).

يقول تعالى: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٧).

واشكروا له ما أنعم به عليكم [2].

اقتران الأغنياء بالمشيئة الإلهية.

الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٢٨).

البيان: أزال الله تعالى عن المؤمنين ما كانوا يخافون من العيلة بقلة موارد المعيشة إذ منع المشركون من المجيء إليها بوعدهم بأن يغنيهم من فضله إن شاء وقد جاءهم

---

(١) القشيري: جـ٣ ص ٣٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٥ / ٣١٤.

الغني من طرق كثيرة وتفجرت ينابيع الغنى والثروة من كل جانب ففتح الله لهم البلاد وسخر لهم العباد فكثرت الغنائم والخراج ومهد لهم سبل الملك وبسط لهم في الرزق من إمارة وتجارة وزراعة وصناعة . وقيد الفضل بمشيئته لتقوية إيمانهم ونوط آمالهم بربهم واتكالهم عليه دون مجرد كسبهم وإن كانوا مأمورين بالكسب لأنه من سنته تعالى في الخلق ، ولكن لا يجوز أن ينسيهم توفيقه وتأييده لهم (١) .

* * * * *

اقتران الرزق بالمشيئة الإلهية

١ - الآية: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة: ٦٤) .

البيان: إن الله تعالى هو صاحب الجود الكامل والعطاء الشامل عبر بذلك عن بسط اليدين ؛ لأن الجواد السخي إذا أراد أن يبالغ في العطاء جهد استطاعته يعطي بكلتا يديه . ولا غرو فكل ما يتقلب فيه العالم كله من الخير والنعم هو سجل من الجود والكرم الإلهي والنكتة في قوله: ﴿ كَيْفَ يَشَاء ﴾ بيان أن تقتير الرزق على بعض العباد والجاري على وفق الحكمة وسنن الله تعالى في الاجتماع لا ينافي سعة الجود وسريانه في كل الوجود فإن له سبحانه الإرادة والمشيئة في تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق بحسب السنن التي أقام بها نظام الخلق (٢) .

٢ - الآية: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (الشورى: ١٩ - ٢٠) .

---

(١) المنار: رشيد رضا جـ١٠ ص ٢٧٨ .

(٢) المنار: رشيد رضا جـ٦ ص ٤٥٥ .

البيان: أخرج الله الرزق من دائرة الصلاح والفلاح والإيمان والكفر وعقله بأسبابه الموصولة بأوضاع الحياة العامة واستعدادات الأفراد الخاصة وجعله فتنة وابتلاء يجزي عليهما الناس يوم الجزاء فمن كان يريد حرث الآخرة عمل فيه وزاد له الله في حرثه وأعانه عليه بنيته وبارك فيه بعمله وكان له مع حرث الآخرة رزقه المكتوب له في هذه الأرض لا يحرم شيئا حين يرجو وجه الله في تثميره وتصريفه والاستمتاع به والإنفاق فيه [(١)].

ويقول تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة: ٢١٢).

ويقول تعالى: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٣٧).

ويقول تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٣٧).

وذلك متعلق بمحض المشيئة فقد وسع الدنيا على قارون وضيقها على أيوب - عليه السلام - ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ ﴾ [(٢)](الزخرف: ٣٣).

* * * * *

الأقوات - مباركتها وتقديرها

الآية: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ (فصلت: ١٠).

البيان: ﴿ بَارَكَ فِيهَا ﴾ جعل فيها البركة والخير النافع وفي الأرض خيرات كثيرة فيها رزق الإنسان وماشيته وفيها التراب والحجارة والمعادن وكلها

---

(١) سيد قطب: جـ٥ ص ٣١٥١ .

(٢) تفسير الرازي: ج٢، ص ٢٠١ .

بركات ﴿ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ جمع سائل بمعنى الطالب للمعرفة وقيل: الطالبين للقوت[١].

أكثر فيها الخير وقدر أرزاق أهلها حسبما تقتضيه حكمته في أربعة أيام، وقدر كل شيء لا نقص فيه ولا زيادة، هذا التفصيل في خلق الأرض وما عليها بيان للسائلين[٢].

* * * * *

الأكل من رزق الله

١ - الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة: ٨٧، ٨٨).

البيان: في هذه الآية تنبيه لفقهاء الأمة على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يقم الدليل على تحريمه أو كان دليله غير بالغ قوة دليل النهى الوارد في هذه الآية.

وتحريم الطيبات اعتداء على ما شرع الله لذلك كان تنزيل الآية بـ ﴿ وَلاَ تَعْتَدُواْ ﴾ فما هي نهى عن تحريم الحلال أردفه بالنهي عن استحلال المحرمات وذلك بالاعتداء على حقوق الناس أو على حقوق الله تعالى في أمره ونهيه حق الناس. أي أن الله وسع عليكم بالحلال فلا تعتدوه إلى الحرام فتكفروا بالنعمة ولا تتركوا بالتحريم فتعرضوا عن النعمة[٣].

٢ - الآية: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام: ١٤١ - ١٤٢).

---

(١) ابن عاشور: جـ ٢٤ ص ٢٤٣.

(٢) المنتخب: ص ٧٠٧.

(٣) ابن عاشور: جـ ٧ ص ١٦.

البيان: إن المنهج القرآني يكثر من عرض حقيقة الرزق الذي يختص الله بمنحه للناس ليتخذ منها برهانا على ضرورة إفراد الله سبحانه بالحاكمية في حياة الناس. فإن الخالق الرازق الكافل وحده هو الحقيق بأن تكون له الربوبية والحاكمية والسلطان وحده بلا جدال. وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُسْرِفُواْ ﴾ ينصرف إلى العطاء كما ينصرف إلى الأكل. وقوله تعالى: ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ ﴾ ذلك ليذكرهم أن هذا رزق الله وخلقه والشيطان لم يخلق شيئا فما بالهم يتبعونه في رزق الله؟

ويقول: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢).

والمراد به السحاب ها هنا في وقته عند احتياجهم إليه فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو شاهد رزق لهم ولأنعامهم [١].

ويقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ١٢٦).

وقال: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل: ٦٧).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص: ٥٧).

---

(١) ابن كثير: ١ / ١٠٠.

أي تجمع إليه ثمرات كل أرض وبلد رزقا من لدنا أي عطاء من هذا [١].

الآية: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تعبدون ﴾ (النحل: ١١٤).

البيان: إذا كان المشركون يكفرون بنعم الله فيبدلها بؤسا. فاتجهوا أيها المؤمنون إلى الشكر وكلوا مما رزقكم الله وجعله حلالا طيبا لكم ولا تحرموه على أنفسكم. واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته وحده إن كنتم تخصونه حقا بالعبادة [٢].

٣ - الآية: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (الحج: ٢٨).

البيان: الأمر بالأكل من الذبيحة يوم النحر هو أمر للإباحة أو الاستحباب. أما الأمر بإطعام البائس الفقير منها فهو أمر للوجوب. دليل المقصود من أكل صاحبها منها أن يشعر الفقراء أنها طيبة كريمة [٣].

٤ - الآية: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (سبأ: ١٥ - ١٦).

البيان: قوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ إشارة إلى تكميل النعم عليهم ﴿ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ بيان أيضا لكمال النعمة فإن الشكر لا يطلب إلا على النعمة المعتبرة [٤].

٥ - الآية: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس: ٣٣ - ٣٥).

---

(١) الماوردي: جـ ٣ ص ٢٣٤.

(٢) المنتخب: ص ٤٠٥.

(٣) سيد قطب: جـ ٤ ص ٢٤٢٠.

(٤) الرازي: م ١٣ جـ ٢٥ ص ٢٥٢.

البيان: إن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ودفع الضر وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء. والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه (١).

٦ - الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (الملك: ١٥).

البيان: هو الذي جعل لكم الأرض طيعة ميسرة، فامشوا في جوانبها وكلوا من رزقه الذي يخرجه لكم منها وإليه وحده البعث والجزاء (٢).

* * * * *

الأكل من طيبات الرزق

١ - الآية: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ٥٧).

البيان: الله تبارك وتعالى يريد أن يمتن على بني إسرائيل بنعمه ومعجزاته ويرينا أنه رغم كل هذه النعم فقد عاش بنو إسرائيل في عنادهم وتعنتهم. فقد رزقهم بهذا الرزق الطيب من غمام يقيهم حرارة الشمس ومن يعطيهم وقود الحركة؛ وسلوى كغذاء لهم وكل هذا يأتيهم من السماء دونما تعب منهم ولكنهم بدلا من أن يقابلوا هذه النعمة بالشكر قابلوها بالجحود (٣).

٢ - الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢).

البيان: هذا خطاب من الله للذين آمنوا بأن يأكلوا من الطيبات.

---

(١) الزمخشري: جـ٣ ص ٣٢١.
(٢) المنتخب: ص ٨٤٢.
(٣) تفسير الشعراوي: جـ٩ ص ٣٦٠.

وخطاب الله للمؤمنين هنا جاء بقوله: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ذلك أن المؤمن يتيقن تماما بأن الله هو الخالق وهو الذي يرزق [١] .

٣ - الآية: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٠) .

البيان: وجعل لهم السحاب يلقي عليهم ظله في التيه ليقيهم حر الشمس وأنزل عليهم المن وهو طعام يشبه البرد في منظره ويشبه الشهد في طعمه وأنزل السلوى وهو الطير السماني وقال لهم: كلوا من مستلذات ما رزقناكم مما أنزلناه عليكم [٢] .

٤ - الآية: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١٩) .

البيان: ليذهب واحد منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وليتخير أطيب الأطعمة فيأتيكم بطعام منه وليكن حسن التفاهم [٣] .

٥ - الآية: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (طه: ٨١) .

البيان: الطغيان في النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفرها . أي يشغلهم اللهو والتنعم من القيام بشكرها وأن ينفقوها في المعاصي وأن يزووا حقوق الفقراء

---

(١) تفسير الشعراوي: جـ ٩ ص ٧٢٧ .
(٢) المنتخب: ص ٢٣٢ .
(٣) المنتخب: ص ٤٢٩ .

فيها وأن يسرفوا في إنفاقها وأن يبطروا فيها ويتكبروا [١].

- طيبات الرزق أي لذيذ الرزق وقيل: من حلاله [٢].

٦ - الآيـة: ﴿ يَـا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون: ٥١).

البـيان: الطيبات: هي الحلال وقيل: طيبات الرزق الذي لا يعصى الله فيه. وصافيه الذي ينسى الله فيه القوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل.

قـد أبـاح الله للرسـل كمـا أباح لغيرهم أكل الطيبات وقدم قولـه: ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ على قولـه: ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ كالدلالة على أن العمل الصالح لابد وأن يكـون مسـبوقا بـأكل الحلال فأما قولـه: ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ فهو تحذير مـن مخالفـة مـا أمـرهم بـه وإذا كـان ذلك تحذيرا للرسل مع علو شأنهم بأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى.

* * * * *

الأكل والشرب من رزق الله

الآيـة: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْـقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَـتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة: ٦٠).

البـيان: يقـول الحـق جـل وعـلا: ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي لا يكون شكركم على النعمة بالإفساد في الأرض [٣].

* * * * *

---

(١) الزمخشري: جـ ٣ ص ٧٩.

(٢) الرازي: جـ ٢٣ ص ١٠٥.

(٣) الشعراوي: جـ٥ ص ٣٧١.

الله خير الرازقين

١ - الآيـة: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة: ١١٤).

البـيان: إن عيسى - عليه السلام - لشدة صفاء دينه وإشراق روحه لما ذكر الرزق بقوله: ﴿ وَارْزُقْنَا ﴾ لم يقف عليه بل انتقل من الرزق إلى الرازق فقال: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[1].

٢ - الآيـة: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الحج: ٥٨).

البيان: والذين تركوا أوطانهم لإعلاء شأن دينهم يبتغون رضا الله ثم قتلوا في ميدان الجهاد أو ماتوا على فراشهم يجزيهم الله أحسن الجزاء وإن الله لهو خير من يعطي الثواب الجزيل[2].

٣ - الآيـة: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ٧٢).

البيان: ماذا يطمع نبي أن ينال من البشر الضعاف الفقراء المحاويج وهو متصل بالفيض اللدني الذي لا ينضب؟ بل ماذا يطمع أتباع نبي أن ينالوا من عرض هذه الأرض وهم معلقوا الأنظار والقلوب بما عند الله الذي يرزق بالكثير وبالقليل؟ ألا إن يوم يتصل القلب بالله يتضاءل هذا الكون بما فيه وكل من فيه[3].

٤ - الآيـة: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩).

البـيان: إن هذه الآية إشارة إلى أن نعيم الآخرة لا ينافي نعمة الدنيا بل

---

(١) الرازي: م ٦ جـ ١٢ ص ١٤٠

(٢) المنتخب: ص ٤٩٧.

(٣) سيد قطب: جـ٤ ص ٢٤٧٥.

الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعيم من القطع بحصول النعيم لهم في العقبى بناء على الوعد . فما ينفقه المؤمن يخلفه الله والله خير الرازقين فهو لا يؤخره عن وقت الحاجة لأنه عالم وقادر ولا ينقصه عن قدر الحاجة لأنه غني واسع ولا ينكده بالحساب لأنه يرزقه حلالا لا يحاسبه عليه ولا يكدره بطلب الثواب لأنه عَلِيٌّ كبير والثواب يطلبه الأدنى من الأعلى [(١)] .

- المراد بالإنفاق: هو الإنفاق المرغوب فيه الدين كالإنفاق على الفقراء في سبيل الله بنصر الدين [(٢)] .

٥ - الآية: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الجمعة: ١١) .

البيان: في الآية تلويح لهم بما عند الله وأنه خير من اللهو ومن التجارة . وتذكير لهم بأن الرزق من عند الله ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[(٣)] .

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك: ٢١) .

أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه بعده أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق ويبصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره [(٤)] .

* * * * *

الله هو الرزاق

١ - الآية: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢) .

---

(١) الرازي: جـ ٢٥ ص ٢٦٣ .
(٢) ابن عاشور: جـ ٢٢ ص ٢١٩ .
(٣) سيد قطب: جـ ٦ ص ٣٥٧٠ .
(٤) ابن كثير: ٧ / ٧٣ .

البيان: الناس تختلف في مسألة الرزق . والرزق هو ما ينتفع به ، وليس هو ما تحصل عليه .

فقد تربح مالاً وافراً ولكنك لا تنفقه ولا تستفيد منه فلا يكون هذا رزقك ولكنه رزق غيرك وأنت تظل حارساً عليه حتى توصله إلى صاحبه .

وهو رزق الولد ، ورزق في الطعام البركة . ولك نعمة من الله تعالى هي رزق وليس المال وحده . فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يبلغنا بهذه الآية الكريمة إلى أن نفكر قليلاً فيمن خلق هذا الكون لنعرف أنه قبل أن يخلق الإنسان خلق له عناصر بقائه (١) .

٢ - الآية: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَات أَنَّ لَهُمْ جَنَّات تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ منْهَا من ثَمَرَة رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذي رُزِقْنَا من قَبْلُ وَأُتُواْ بِه مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة: ٢٥) .

البيان: إن الله أعد للمؤمنين جنات مثمرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها كلما رزقهم الله وهم في هذه الجنات رزقاً من بعض ثمارها قالوا: إن هذا يشبه ما رزقنا من قبل لأن هذه الثمرات التي ينالونها تتشابه أفرادها في الصورة والجنس ولكنها تتمايز في الطعم واللذة (٢) .

ويقول الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ من شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ من ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (الروم: ٤٠) .

أي هو الخالق الرازق كما قال الإمام أحمد: عن حبة وسواء ابني خالد قالا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئاً كان يعالج حائطاً أو بناء فأعناه ، فقال: «**لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل**» (٣) (رواه أبو نعيم) .

---

(١) تفسير الشعراوي: جـ٢ ص ١٨٧ .
(٢) المنتخب: ص ٨ .
(٣) ابن كثير ٥ / ٣٦٣ .

الآيـة: ﴿ قُـلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ (يونس: ٣١).

البـيان: ادع - أيها الرسول - إلى التوحيد الخالص وقل: من الذي يأتيكم بالرزق من السماء بإنزال المطر؟ ومن الأرض بإخراج النبات والثمر؟ ومن الذي يمنحكم السمع والأبصار؟ ومن يخرج الحي من الميت كالنبات وهو حي من الأرض وهي موات؟ ومن يخرج الميت من الحي كالإنسان يسلب عنه الحياة؟ ومن الذي يدبر ويصرف جميع أمور العالم كله بقدرته وحكمته؟ فسيعترفون لا مناص، بأن الله وحده فاعل هذا كله. فقل لهم: أليس الواجب المؤكد أن تذعنوا للحق وتخافوا الله مالك الملك؟ [(١)].

وفي تفسير المنتخب:

من السماء المطر ومن الأرض النبات فسيقولون الله لأنهم خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله فكان في ذلك توحيده [(٢)].

٣ - الآية: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر: ٢٠).

البـيان: لقد أراح قلوب الفقراء من تحمل المنة من الأغنياء مما يعطوهم وأراح الأغنياء من مطالبة الفقراء منهم شيئاً، فليس للفقير صرف القلب عن الله سبحانه إلى مخلوق واعتقاد منة لأحد إذ الملك كله لله والأمر بيد الله ولا قادر على الإبداع إلا الله [(٣)].

ويقول ابن الجوزي [(٤)] فيها أربعة أقوال:

---

(١) المنتخب: ص ٢٩١ .
(٢) ابن الجوزي: ٤ / ٢٨ .
(٣) القشيري: جـ٢ ص ٢٦٧ .
(٤) ٤ / ٣٩١ .

الأول: أنه الدواب والأنعام .

والثاني: الوحوش وقال ابن قتيبة: الوحش والطير والسباع وأشباه ذلك لا يرزقه ابن آدم .

والثالث: العبيد والإماء .

الرابع: الأنعام والدواب .

٤ - الآية: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (النحل: ٧٣) .

البيان: ويعبدون غير الله من الأوثان وهي لا تملك أن ترزقهم رزقا - أي رزق - ولو قليلا سواء أكان هذا الرزق آتيا من جهة السماء كالماء ، أم خارجاً من الأرض كثمر الأشجار والنبات ولا تستطيع هذه الآلهة أن تفعل شيئاً من ذلك ولا أقل منه[١] .

يقول الله تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤) .

ويقول: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤) .

٥ - الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه: ١٣٢) .

البيان: ووجه أهلك إلى أن يؤدوا الصلاة في أوقاتها فالصلاة أقوى ما يصلهم بالله وداوم على إقامتها كاملة لا نكلفك رزق نفسك فنحن متكفلون برزقك وإن العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة مكفولة لأهل الصلاح والتقوى[٢] .

ويقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ

---

(١) المنتخب: ص ٤٧١ .

(٢) المنتخب: ص ٤٧١ .

رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الحج: ٥٨) .

وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ٧٢) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩) .

٦ - الآية: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ (الشعراء: ٧٩) .

البيان: يشمل ما يتصل بمنافع الرزق وذلك لأنه سبحانه إذا خلق له الطعام وملكه فلو لم يكن معه ما يتمكن به من أكله والاغتذاء به نحو الشهوة والقوة والتميز لم تكمل هذه النعمة وذكر الطعام والشراب ونبه بذكرهما على ما عداهما[١] .

- وقيل: هي الكفالة المباشرة الحانية الراعية . إذ يذكر إبراهيم ربه في مقام الإنعام والإفضال إذ يطعمه ويسقيه [٢] .

٧ - الآية: ﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤) .

البيان: بل اسألهم أيها الرسول عمن ينشئ الخلق ابتداء، ثم يوجده بعد فنائه كما كان . ومن الذي ينزل لكم الرزق من السماء ويخرجه من الأرض . ليس هناك إله مع الله يفعل ذلك .

قل أيها الرسول موبخاً لهم ومنكلاً عليهم: إن كان لكم إله سوى الله فأقيموا لنا حجة على ذلك إن كنتم تزعمون أنكم صادقون ولن يتأتى لكم ذلك [٣] .

ويقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ

---

(١) الرازي: جـ٢٤ ص ١٤٤ .
(٢) سيد قطب: جـ ٥ ص ٢٦٠٣ .
(٣) المنتخب: ص ٥٧٠ .

يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: ٣) .

ويقول: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الجمعة: ١١) .

ويقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٨) .

٨ - الآية: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم: ٢٨) .

البيان: إذا كان لكم مماليك لا ترضون بالمساواة بينكم وبينهم وأنتم متشابهون بكل وجه إلا أنكم بحكم الشرع مالكوهم فهل يجوز أن الله تعالى يساويه عبيده؟ تعالى الله من ذلك علواً كبيرا [(١)] .

- يأنفون أن يجعلوا لأنفسهم من عبيدهم شركاء في مالهم ومالهم ليس من خلقهم إنما هو من رزق الله [(٢)] .

٩ - الآية: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم: ٤٠) .

البيان: الله سبحانه الذي أوجدكم ثم أعطاكم ما تعيشون به ثم يميتكم ثم يبعثكم من قبوركم ، هل هناك من الشركاء الذين تزعمونهم فتعبدونهم من دون الله من يفعل من الخلق والرزق والإماتة والإحياء شيئاً من تلك الأفعال تنزه الله تعالى عما يشركون به [(٣)] .

١٠ - الآية: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤) .

---

(١) القشيري: جـ٣ ص ١١٥ .
(٢) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٧٦ .
(٣) المنتخب ص ٦٠٧ .

البيان: قل - أيها - للمشركين: من يأتيكم برزقكم من السماوات والأرض؟ قل لهم حين لا يجيبون عنادا -: الله وحده الذي يرزقكم منهما [١] .

١١ - الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: ٣) .

البيان: يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بشكرها وتأدية حقها وأقروا بما يقع في نفوسكم إنه لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ترسله والأرض بما تخرجه مما به حياتكم . لا إله إلا هو يرزق عباده . فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشرك في عبادته [٢] .

١٢ - الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴾ (غافر: ١٣) .

البيان: الله الذي يريكم دلائل قدرته ، فينزل لمصالحكم من السماء ماء يكون سبب رزقكم وما يتعظ بهذا إلا من يرجع إلى التفكير في آيات الله [٣] .

١٣ - الآية: ﴿ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الجاثية: ٥) .

البيان: وفي اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلام مع تعاقبهما على نظام ثابت . وفيما أنزل الله من السماء من مطر فأحيا به الأرض بالإنبات بعد موتها بالجدب ، وتصريف الرياح إلى جهات متعددة مع اختلافها برودة وحرارة وقوة وضعفا علامات واضحة على كمال قدرة الله لقوم فكروا بعقولهم فخلص يقينهم [٤] .

١٤ - الآية: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ *

---

(١) المنتخب: ص ٦٣٨ .

(٢) المنتخب: ص ٦٤٤ .

(٣) المنتخب: ص ٦٩٦ .

(٤) المنتخب: ص ٧٣٩ .

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (ق: ٩ - ١١) .

البيان: ﴿ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ رزقا يسوق الله سببه ، ويتولى نبته ويطلع ثمره ، للعباد ، وهو المولى وهم لا يقدرون ولا يشكرون [١] .

١٥ - الآية: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢) . يعني المطر[٢] .

البيان: هي لفتة عجيبة . فمع أسباب الرزق الظاهرة قائمة في الأرض ، حيث يكد فيها الإنسان ، وينتظر من ورائها الرزق والنصيب . فإن القرآن يرد بصر الإنسان ونفسه إلى السماء . إلى الغيب . إلى الله . ليتطلع هناك إلى الرزق المقسوم والحظ المرسوم . أما الأرض وما فيها من أسباب الرزق الظاهرة فهي آيات للموقنين . آيات ترد القلب إلى الله ليتطلع إلى الرزق من فضله ، ويتخلص من أثقال الأرض وأوهام الحرص ، والأسباب الظاهرة للرزق فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع إلى المصدر الأول الذي أنشأ هذه الأسباب . والقلب المؤمن يدرك هذه اللفتة ويفهمها على وضعها ، فهو مكلف بالخلافة في الأرض وتعميرها فليعمل في الأرض وهو يتطلع إلى السماء ، وليأخذ بالأسباب وهو مستيقن أنها ليست هي التي ترزقه فرزقه مقدر في السماء وما وعده الله لأن يكون [٣] .

١٦ - الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٦ - ٥٨) .

البيان: من مقتضيات العبادة أن تصبح قيمة الأعمال في النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها فالإنسان غير معلق بهذه النتائج إنما هو معلق بأداء العبادة في القيام بهذه الأعمال ولأن جزاءه ليس في نتائجها إنما هو في العبادة التي أداها .

---

(١) سيد قطب: جـ ٦ ص ٣٣٦٠ .
(٢) ابن كثير: ٦ / ٤١٩ .
(٣) سيد قطب: جـ٦ ص٣٣٨٨ .

فلا يكون حافز المؤمن للعمل وبذل الجهد في الخلافة هو الحرص على تحصيل الرزق بل يكون الحافز هو تحقيق معنى العبادة الذي يتحقق ببذل أقصى الجهد والطاقة مع إطلاق المشاعر من الانشغال بهم بالرزق فقد تكفل به الله [١] .

* * * * *

إمداد المؤمن والكافر بالرزق

١ - الآية: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ١٢٦) .

البيان: طلب إبراهيم - عليه السلام - الرزق للمؤمنين وحدهم ولكن الله تعالى قال: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ وفي هذا تصحيح مفاهيم بالنسبة لإبراهيم ليعرف أن كل من استعداه فإنه ضمن لك رزقك . قوله تعالى: ﴿ فَأُمَتِّعُهُ ﴾ دليل على دوام متعته في الدنيا ولكل نعمة متعة فالطعام والشراب والجنس له متعة ولكن الله وصفه بأنه قليل [٢] .

٢ - الآية: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (النحل: ٥٦) .

البيان: ويجعل المشركون لأوثانهم التي يسمونها بغير علم آلهة ، نصيبا يتقربون به إليها ، من الرزق الذي أعطيناهم إياه من الحرث والأنعام وغيرها لأسألكم وعزتي أيها المشركون عما كنتم تختلقونه من الكذب وتفترونه من الباطل وأجازيكم عليه [٣] .

٣ - الآية: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ

---

(١) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٣٨٨ .
(٢) تفسير الشعراوي: جـ ٨ ص ٦٠١ .
(٣) المنتخب: ص ٣٩٣ .

جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء: ١٨ - ٢٠).

البيان: من كان يطلب متاع الدنيا العاجلة ويعمل له متخذا الأسباب، ولا يوقن ولا ينتظر جزاء الدار الآخرة عجلنا له في الدنيا ما نشاء تعجيله من البسط والسعة وكان هذا لمن نريد التعجيل له، ثم أعددنا له في الآخرة يقاسي حرها وهو مذموم بما قدم هالك مطرود من رحمة الله.

ومن أراد بعمله الآخرة ولها عمل وهو مصدق بالله وجزائه، فأولئك كان عملهم مقبولا عند الله ينالون الثواب عليه، وإنا نمد كلا الفريقين إذا اتخذوا الأسباب من عطاء ربك في الدنيا وما كان عطاء ربك فيها ممنوعا من أحد مؤمناً أو كافرا ما داموا قد اتخذوا الأسباب [١].

٤ - الآية: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (الشورى: ١٩).

البيان: الله لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم [٢].

وجاء في تفسير الرازي: إن أصل الإحسان والبر عام في حق العباد وذلك هو الإحسان بالحياة والعقل والفهم وإعطاء ما لابد منه من الرزق ودفع أكثر الآفات والبليات عنه، فأمر مراتب العطية متفاوتة مختلفة [٣].

* * * * *

إمساك الرزق

الآية: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك: ٢١).

---

(١) المنتخب: ص ٤١٢ .

(٢) القرطبي: جـ١٦ ص ١٢ .

(٣) الرازي: جـ ٢٧ ص ١٦١ .

البيان: إن مدلول الرزق أوسع مدى وأقدم عهدا وأعمق جذورا مما يتبادر إلى الذهن فمرد كل صغيرة وكبيرة فيه إلى قدرة الله عز وجل وإرساله للأسباب وإمساكها حين يشاء . وقد يتوهم الإنسان أن الرزق من كسبه وفي طوقه كالعمل والإبداع والإنتاج وكلها مرتبطة بقيام الأسباب والعناصر الأولى من جهة ومتوقفة على هبة الله للأفراد والأمم من جهة أخرى [١] .

* * * * *

الرزق وإنزاله من السماء

الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴾ (غافر: ١٣) .

والرزق ها هنا: المطر سمي رزقا لأنه سبب الأرزاق [٢] .

ويقول: ﴿ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الجاثية: ٥) .

يحتمل وجهين: أحدهما: المطر الذي ينبت الزرع وتحيا به الأرض .

والثاني: ما قضاه في السماء من أرزاق العباد [٣] .

ويقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ (ق: ٩ - ١١) .

رزقا للعباد: يعني ما أنزله الله من السماء من ماء مبارك وما أخرجه من الأرض بالماء من نبات وحب الحصيد طلع نضيد [٤] .

---

(١) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٦٤٣ .
(٢) ابن الجوزي: ٧/ ٢١٠ .
(٣) الماوردي: ٤ / ١٩ .
(٤) الماوردي

الإنفاق من رزق الله:

١ - الآية: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٣).

البيان: الرزق في اللغة: النصيب والعطاء ويطلق على الحسي والمعنوي كالمال والعلم والتقوى ويخص بأمور المعاش بقرينة حالية أو لتغطية النفقة المشروعة تكون ببعض ما يملك الإنسان لا كل ما يملك. وليس المراد بالإنفاق هنا ما يكون على الأهل والولد ولا ما يسمونه بالجود والكرم كقرى الضيف ابتغاء عوض كالشهرة والجاه أو الأنس بالأصحاب إنما هو الإنفاق الناشئ عن شعور بأن الله تعالى هو الذي يرزقه وأنعم عليه به وأن الفقير المحروم عبدالله مثله، وأنه حرم من سعة العيش لضعف أو حرمان من الأسباب التي توصل إلى الرزق أو عن إحساس بأن مصلحة من مصالح المسلمين العامة لا تقوم إلا ببذل المال. وقد أوجب الله على من أوتي المال أن ينفق منه في ذلك السبيل وهو أفضل سبل الله[١]

٢ - الآية: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة: ٢٥٣).

البيان: قالوا: إن المراد بالإنفاق هنا: الإنفاق الواجب لأن الكلام يتضمن الوعيد على الترك وهو لا يكون إلا على ترك الواجب. وقال بعضهم بل يشمل المندوب. ومن الواجب على أغنياء المسلمين إذا وقع الفساد في الأمة وتوقفت إزالته على المال أن يبذلونه لدفع المفاسد وحفظ المصالح العامة وفي قوله تعالى: ﴿ مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ إشعار بأنه لا يطلب منهم إلا بعض ما جعلهم مستخلفين فيه من رزقه ونعمه عليهم[٢].

(١) المنار: رشيد رضا - جـ١ ص ١٣٠.
(٢) المنار - رشيد رضا - جـ٣ ص ١٦.

والإنفاق من أعظم ما يهتم بأمره الإسلام وهو حقوق الناس وقد ذكر في آيات كثيرة إيجابا وندبا من طريق الزكاة والخمس والكفارات المالية وأقسام الفدية والإنفاقات الواجبة والصدقات المندوبة ومن طريق الوقف والسكنى والعمري والوصايات والهبة وغير ذلك .

والطريق إلى ذلك إنفاق الأفراد مما اقتنوه فإنما المؤمنون إخوة والأرض لله والمال ماله [(١)] .

٣ - الآية: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الأنفال: ٣) .

ويقول: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٢) .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون: ١٠) .

قال تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيمًا ﴾ (النساء: ٣٩) .

البيان: أي وينفقون بعض ما رزقهم الله في وجوه البر من زكاة مفروضة لإقامة دولة الإسلام وغير ذلك من النفقات الواجبة والمندوبة للأقربين والمعوزين ومصالح الأمة .

وقد وردت في الكتاب العزيز الزكاة أو النفقة مقارنة للصلاة لأنهما العبادتان اللتان عليهما مدار الإصلاح الروحي والاجتماعي [(٢)] .

٤ - الآية: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

---

(١) الطباطبائي: جـ٢ ص ٣٨٣ .

(٢) المنار - رشيد رضا - جـ ٩ ص ٥٩٤ .

سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٢) .

البـيان: المراد به مطلق الإنفاق وهو أعم من الواجب وغيره . وتقييد الإنفاق بقولـه: ﴿ سِـرًّا وَعَلاَنِيَةً ﴾ للدلالـة على استيفائهم حقه من الإنفاق ما يحسن فيه الإسـرار ومـنه ما يحسن فيه الإعلان فعلى من آمن بما أنزلـه الله بالحق أن يستوفى مـن كـل حقـه فيسـر بالإنفاق إذا كان في إعلانه مظنة الرياء أو السمعة أو إهانة أو ذهاب ماء الوجه . ويعلن فيه فيما كان في إعلانه تشويق الناس على البر والمعروف ودفع التهمة ونحو ذلك [١] .

٥ - الآيـة: ﴿ قُـل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ ﴾ (إبراهيم: ٣١) .

البـيان: قـل يا محمد لعبادي الصادقين الذين آمنوا وأحسنوا: أقيموا الصلاة ، وأنفقـوا بعـض مـا رزقناكم في وجوه البر مسرين ومعلنين وفي كل خير من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا صداقة [٢] .

ويقول الماوردي فيه وجهان: أحدهما: يعني بالسر وما خفي وبالعلانية ما ظهر وهو قول الأكثرين .

والـثاني: أن السـر: الـتطوع ، والعلانية: الفرض ويحتمل وجها ثالثا: أن السر: الصدقات ، والعلانية: النفقات .

٦ - الآيـة: ﴿ الَّذِيـنَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِـيمِي الصَّلاَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِـيهَا خَـيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الحج: ٣٥ - ٣٦) .

البيان: ممـا رزقناهم من الأموال ينفقون في الواجب عليهم إنفاقها فيه من زكاة

---

(١) الطباطبائي: جـ١١ ص ٣٤٤ .
(٢) تفسير الماوردي: ٢ / ٣٥٠ .

ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله [١] .

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (البقرة: ٢٥٤) .

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (المنافقون: ١٠) .

- المراد منه الإنفاق على المحتاجين الضعفاء من المؤمنين . أما الإنفاق على الضيف والأصحاب فذلك مما يفعله المتكبرون وهو نظير الإنفاق على الندماء في مجالس الشراب . والخير الذي في البُدْن هو انتفاع الفقراء بلحومها وجلودها ونعالها وقلائدها . وما يحصل للمهدين وأهليهم من الشبع من لحمها يوم النحر [٢] .

٧ - الآية: ﴿ **أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ (القصص: ٥٤ - ٥٥) .

البيان: عد الله للمؤمنين سبع خصال من خصال أهل الكمال إحداها: أخروية وهي أخروية الإيمان . والثانية: الصبر على الأذى وهو من أعظم خصال البر . والثالثة: حسن المعاشرة . والرابعة: الإنفاق على الفقراء . والخامسة: الإعراض عن اللغو وهو الكلام العبث الذي لا فائدة فيه وهذا الخلق من مظاهر الحكمة . والسادسة: من أحسن ما يجاب به السفهاء وهو أقرب لإصلاحهم وأسلم من تزايد سفههم . والسابعة: أن يطلبوا العلم ومكارم الأخلاق [٣] .

٨ - الآية: ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (السجدة: ١٦) .

البيان: وهم إلى جانب هذه الحساسية المرهفة والصلاة الخاشعة والدعاء الحار

---

(١) الطبري: جـ١٧ ص ١٦١ .

(٢) ابن عاشور: جـ١٧ ص ٢٦٠ - ٢٦٦ .

(٣) ابن عاشور: جـ٢٠ ص ١٤٤ - ١٤٦ .

يؤدون واجبهم للجماعة المسلمة طاعة لله وزكاة [١].

٩ - الآيـة: ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (فاطر: ٢٩).

البـيان: حث عـلى الإنفاق كيفما يتهيأ فإن تهيأ فذاك ونعم وإلا فعلانية ولا يمنعه ظنه أن يكون رياء فإن ترك الخير مخالفة أن يقال فيه: إنه مراء فذاك عين الرياء. ويمكن المراد بقوله: ﴿ سِرًّا ﴾ أي صدقة ﴿ وَعَلانِيَةً ﴾ أي: زكاة فإن الإعلان بالزكاة كالإعلان بالقرض وهو مستحب. ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ إشارة إلى الإخلاص لوجه الله تعالى [٢].

١٠ - الآيـة: ﴿ وَإِذَا قِـيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ٤٧).

البـيان: ما كان فائدة الشفقة على خلق الله راجعة إلا إلى المتصدقين فإن من يرزقه المتمول لا يموت إلا بأجله ولابد من وصول رزقه إليه ولكن السعيد من قدر الله إيصال الرزق على يده إلى غيره مما رزقكم الله إن البخل به غاية القبح فإن أبخل البخلاء من يبخل بمال الغير ولا ينبغي أن يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فإن الله رزقكم فإذا أنتم أنفقتم فهو يخلفه لكم ثانيا كما رزقكم أولاً [٣].

ويقول ابن الجوزي [٤]: معنى الكلام أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعمهم وهذا خطأ فهم لأن الله أغنى البعض وأفقر البعض ليبلو الغني بالفقير فيما فرض الله لـه في ماله من الزكاة والمؤمن لا يعترض على المشيئة وإنما يوافق الأمر.

- إن تفاوت الأرزاق في أيدي العباد الناشئ أصلاً عن حركة الحياة لتحقيق

---

(١) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٨١٣.
(٢) الرازي: جـ٢٦ ص ٢٢.
(٣) الرازي: جـ٢٦ ص ٨٤.
(٤) ٧ / ٢٤.

خلافة الإنسان في الأرض قد ينتهي هذا التفاوت إلى إفساد الحياة والمجتمع ولذلك يعالج الإسلام الحالات الفردية الضرورية بخروج أصحاب الثراء عن قدر من مالهم يعود على الفقراء ويكفل طعامهم وضرورياتهم وبهذا القدر تصلح نفوس كثيرة من الفقراء والأغنياء سواء فقد جعله الإسلام زكاة وجعل في الزكاة معنى الطهارة وجعلها كذلك عبادة وألف بها بين الفقراء والأغنياء [١].

١١ - الآية: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى: ٣٨).

البيان: لابد من التكافل في حياة الجماعة وأحيانا يكون هذا التكافل كاملاً بحيث لا يبقى لأحد مال متميز كما حدث في أول العهد بهجرة المهاجرين إلى مكة ونزولهم على إخوانهم في المدينة ثم وضعت الأسس الدائمة للإنفاق في الزكاة.

فالإنفاق في عمومه سمة من سمات الجماعة المؤمنة لأنه تطهير للقلب من الشح واستعلاء على حب الملك وثقة بما عند الله وكل هذا ضروري لاستكمال معنى الإيمان [٢].

١٢ - الآية: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون: ١٠).

البيان: من للتبعيض أي بعض ما رزقناكم وهذه توسعة من الله على عباده. وهذا البعض منه ما هو معين المقدار مثل مقادير الزكاة وصدقة الفطر. ومنه ما يتعين بسد الخلة الواجب سدها مع طاقة المنفق كنفقات الحج والجهاد والرباط ونفقات العيال الواجبة ونفقات مصالح المسلمين الضرورية والحاجية.

ومنه: ما يتعين بتعين سببه كالكفارات.

ومنه: ما وكل للناس تعينه مما ليس بواجب من الإنفاق من الخير بأن عليهم أن

(١) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٩٧١.

(٢) سيد قطب: جـ١٨ ص ٣١٦٦.

يكثروا في نوال الثواب .

وقد ذكر الله المؤمنين بما في الإنفاق من الخير بأن عليهم أن يكثروا منه ما داموا مقتدرين قبل الفوات أي قبل أن يتعذر الإنفاق والإتيان بالأعمال الصالحة [١] .

* * * * *

الإنفاق من طيبات الكسب

الآيـة: ﴿ يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٧) .

البـيان: الطيبات: خيار الأموال والكسب ما يناله المرء بسعيه كالتجارة والإجارة والغنيمة والصيد ويطلق الطيب على المال المكتسب بوجه حلال لا يخالطه ظلم ولا غش .

الإغماض: إطباق الجفن فإذا أرادوا المبالغة في التغافل عن المكروه الشديد قالوا: أغمض عينيه على قذى [٢] .

– بين الله تعالى كيفية مال الإنفاق وأنه ينبغي أن يكون من طيب المال لا من خبيثه الذي لا يأخذه المنفق إلا بإغماض فإنه لا يتصف بوصف الجود والسخاء بل يتصور بصورة التخلص فلا يفيد حبا للصنيعة والمعروف ولا كمالاً للنفس . وراقبوا في إنفاقكم إن الله غني محمود لا ينبغي أن تواجهوه بما لا يليق بجلاله جل جلاله [٣] .

* * * * *

(١) ابن عاشور: جـ٢٨ ص ٢٥٣ .
(٢) ابن عاشور: جـ٣ ص ٥٦ .
(٣) الطباطبائي: جـ٢ ص ٣٩٣ .

إيتاء الملك ونزعه

الآية: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٢٦ - ٢٧) .

البيان: الملك بإطلاقه شامل لكل ملك حقا أو باطلاً عدلاً أو جوراً فإن الملك في نفسه موهبة من مواهب الله ونعمة يصلح لأن يترتب عليه آثار حسنة في المجتمع والإنسان وقد جعل الله النفوس على حبه والرغبة فالملك يكون بالنسبة إلى من هو أهله منة من الله سبحانه إليه وبالنسبة إلى غير أهله نقمة وهو على كل حال منسوب إلى الله سبحانه وفتنة يمتحن به عباده . والعزة من لوازم الملك على الإطلاق وكل من سواه إذا تملك شيئاً فهو تعالى خوله ذلك وملكه فكانت العزة لله تعالى محضا وما عند غيره منها بإيتائه وإفضاله . الذل بالمقابلة ما يقابل العز من الحكم فكل شيء غيره تعالى ذليل في نفسه إلا من أعزه الله تعالى والرزق عطية منه تعالى لا عوض ولا استحقاق [1] .

* * * * *

الإيتاء من فضل الله

١ - الآية: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠) .

البيان: ولا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل هم أحياء حياة استأثر الله بعلمها . يرزقون عند ربهم رزقا حسنا يعلمه هو .

---

(١) الطباطبائي: جـ٣ ص ١٣٢ .

يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من المزايا [١] .

٢ - الآيـة: ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَـلْ هُـوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٠) .

البيان: البخل عبارة عن ترك الواجب إلا أن الإنفاق الواجب أقسام كثيرة:

منها إنفاق على نفسه وعلى أقاربه الذين يلزمه مؤنتهم ومنها ما يتصل بأبواب الزكاة . ومنها ما إذا احتاج المسلمون إلى دفع عدو يقصد قبلهم وما لهم فههنا يجب علـيهم إنفـاق الأموال على من يدفعه عنهم لأن ذلك يجري مجرى دفع الضرر عن النفس ومنها إذا صار أحد من المسلمين مضطرا فإنه يجب عليه أن يدفع إلي مقدار ما يستقي به رمقه فكل هذه الإنفاقات من الواجبات وتركه من باب البخل [٢] .

لا يظـن الذيـن يـبخلون بما أنعم الله عليهم من المال تفضلاً منه ولا ينفقونه في الواجبات وفي سبيل الخير أن البخل خير لهم بل إنه شر سيىء العاقبة عليهم . وأن كل ما في الوجود يؤول لله سبحانه وتعالى وهو المالك لـه [٣] .

الآيـة: ﴿ وَاعْـبُدُواْ اللّـهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَـتَامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَالْجَـارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّـبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِيـنَ يُـنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّـيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيمًا ﴾ (النساء: ٣٦ - ٣٩) .

البـيان: تلـك اللمسـة الأساسـية في المـنهج الإسـلامي وهي ربط كل مظاهر

---

(١) المنتخب: ص ٩٧ .

(٢) الرازي: جـ٩ ص ١١٨ مجلد ٥ .

(٣) المنتخب: ص ١٠٠ .

السلوك وكل دوافع الشعور وكل علاقات المجتمع بالعقيدة .

فالباعث على العمل الطيب والخلق الطيب هو الإيمان بالله واليوم الآخر وابتغاء وجه الله ورضاه . أما الكفر بالله وباليوم الآخر يصاحبه الاختيال والفخر والبخل والأمر بالبخل وكتمان فضل الله ونعمته بحيث لا تظهر آثارها في إحسان أو عطاء أو الإنفاق رياءً وتظاهراً طلباً للمفاخرة عند الناس (١) .

٤ - الآية: **﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾** (المائدة: ٤٨) .

البيان: إن الله ترك اختيار طرق الخير وأضدادها إلى عقول الناس وكسبهم حكمة منه تعالى ليتسابق الناس إلى أعمال مواهبهم العقلية آثار العلم وتقام الأدلة على الاعتقاد الصحيح .

وكل ذلك يظهر ما أودعه الله في جبلة البشر من الصلاحية للخير والإرشاد على حسب الاستعداد وذلك من الاختيار في جميع ما آتاهم من العقل والنظر فيظهر التفاضل بين أفراد نوع الإنسان .

الاستباق: التسابق وهو هنا مجاز في المنافسة لأن الفاعل للخير لا يمنع غيره من أن يفعل مثله أو أكثر (٢) .

٥ - الآية: **﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾** (التوبة: ٥٨ - ٥٩) .

البيان: الآيتان تهديان المؤمن إلى القناعة بكسبه وما يناله بحق من صدقة ونحوها

---

(١) سيد قطب: جـ٢ ص ٦٦١ .

(٢) ابن عاشور: جـ٦ ص ٢٢٤ .

ثـم بـأن يوجـه قلبه إلى ربه ولا يرغب إلا إليه في شيء من رغائبه التي وراء كسبه وحقوقه الشرعية [١] .

٦ - الآيـة: **﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾** (التوبة: ٧٥ - ٧٦) .

البـيان: من هؤلاء المنافقين - حاطب بن ثعلبة - من عاهد الله تعالى لئن آتانا مـن فضـله مـالاً وثروة ليشكرن لـه نعمته بالصدقة منها والأعمال الشرعية النافعة التي ينتظمون بها في سلك الصالحين القائمين بحقوق الله وحقوق عباده .

فـلما آتـاهم مـا طلبوا من سعة رزقه ما لبثوا أن بخلوا بما آتاهم وأعرضوا بكل قواهم عن الصدقة والعمل الصالح [٢] .

* * * * *

بسط الرزق وقدره

١ - الآيـة: **﴿ اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾** (الرعد: ٢٦) .

بـيان: إن الله تعـالى يبسط الرزق على البعض ويضيقه على البعض ولا تعلق لـه بالكفر والإيمان فالدنيا دار امتحان .

القدر: في اللغة قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان .

وقـيل معـنى يقـدر يضـيق . وقـيل: معناه أنه يعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء [٣] .

- **البسط:** مستعارى للكثرة والدوام .
- **الفرح:** المذكور فرح بطر وطغيان .

---

(١) المنار: رشيد رضا - جـ١٠ ص ٤٨٩ .
(٢) المنار - رشيد رضا - جـ ١٠ ص ٥٥٩ .
(٣) الرازي: مجلد ١٠ جـ ١٩ ص ٤٩ .

- المتاع: ما يتمتع به وينقضي وتنكيره للتقليل [١] .

٢ - الآية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣٠) .

البيان: أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء [٢] .

البسط: التوسع في الرزق .

القدر: التضيق في الرزق [٣] .

واجب الناس في أموالهم وواجبهم نحو قرابتهم وضعفاء عشائرهم أن يمتثلوا ما أمرهم الله من ذلك .

وليس الشح بمبق مال الشحيح لنفسه ؛ ولا التبذير بمغن من يبذر منهم المال ؛ فإن الله جعل لكل نفس رزقها وهو عليم بأحوال عباده وما يليق بكل منهم بحسبهم ما جبلت عليه نفوسهم [٤] .

هذا دأب ربك وسنته الجارية . يبسط الرزق لمن يشاء فلا يبسطه كل البسط ولا يمسك عنه كل الإمساك رعاية لمصلحة العباد إنه كان بعباده خبيرا بصيرا [٥] .

٣ - الآية: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٢) .

البيان: أي ليس المال بدال على رضى الله عن صاحبه فإن الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع وله الحكمة التامة والحجة البالغة [٦] .

---

(١) ابن عاشور جـ ١٣ ص ١٣٤ .
(٢) ابن الجوزي: ٥ / ٣٠ .
(٣) الرازي: مجلد ١٠ جـ ٢٠ ص ١٩٧ .
(٤) ابن عاشور: جـ١٥ ص ٨٦ .
(٥) الطباطبائي: جـ١٥ ص ٨٤ .
(٦) ابن كثير: ٥ / ٣٠٢ .

إن الثراء ليس آية على رضى الله فهو يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضى والغضب إنما هو الابتلاء الذي قد يعقبه البلاء[١].

٤ - الآية: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٢).

البيان: بين السؤال عن خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر والسؤال عن منزل الماء من السماء ومحيي الأرض بعد موتها يقرر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، فيربط سنة الرزق بخلق السماوات والأرض وسائر آثار القدرة والخلق وبكل هذا إلى علم الله بكل شيء[٢].

٥ - الآية: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الروم: ٣٧).

البيان: عليهم بالتأمل في سنة الله في الناس من لحقه الضر وانفراجه ومن قسمة الحظوظ في الرزق بين بسط وتقتير فكما أنهم لم يقنطوا من بسط الرزق عليهم. فكذلك كان حقهم أن يتلقوا ضيق الرزق بعدم القنوط ويصبروا[٣].

٦ - الآية: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (سبأ: ٣٥ - ٣٧).

البيان: والمعنى أن بسط الرزق وتضييقه ابتلاء وامتحان لا أن البسط يدل على رضا الله ولا التضييق يدل على سخطه[٤].

---

(١) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٧١٣.
(٢) سيد قطب: ج ٥ ص ٢٧٥٠.
(٣) ابن عاشور: جـ٢١ ص ١٠٢.
(٤) ابن الجوزي: ٦ / ٤٦٠.

أياً من أسباب الرزق بسطه وقبضه من عمل الناس ومن حكمة الله فهي مسألة منفصلة عن أن تكون دليلاً بذاتها على أن المال والرزق والإيثار والمتاع فيم تقدم أو تأخر عند الله.

ولكنها تتوقف على تصرف المبسوط لهم في الرزق أو المضيق عليهم فيه. فمن وهبه الله مالاً وولدا فأحسن فيهما التصرف فقد يضاعف له الله في الثواب جزاء ما أحسن في نعمة الله. وليست الأموال والأولاد بذاتها هي التي تقربهم من الله ولكن تصرفهم في الأموال والأولاد هو الذي يضاعف لهم الجزاء [١].

٧ - الآية: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩).

البيان: تقرر الآية قاعدة أن بسط الرزق وقبضه أمر آخر يريده الله لحكمة منفصلة وأن ما ينفق منه في سبيل الله هو المدخر الباقي الذي يفيد لتقر هذه الحقيقة واضحة في القلوب [٢].

٨ - الآية: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الزمر: ٥٢).

البيان: أولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويعطيه بقدر لمن يشاء على مقتضى حكمته. إن في هذا لعبرة لقوم يؤمنون [٣].

٩ - الآية: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الشورى: ١٢).

البيان: بسط الرزق: توسعته وقدر الرزق: تضييقه.

والرزق: في كل ما يمد به البقاء ويرتفع به حاجته من حوائج الوجود في استمراره وتذليل الكلام: ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾. للإشارة إلى الرزق واختلافه في

---

(١) سيد قطب: جـ ٥ ص ٢٩١١.
(٢) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٩١١.
(٣) المنتخب: ص ٦٩٠.

موارده بالبسط والقدر ليس على سبيل المجازفة جهلاً بل عن علم منه بكل شيء فرزق كل مرزوق على علم منه بما يستدعيه المرزوق بحسب حاله وما يحف بهما من الأوضاع والأحوال الخارجية وهذه هي الحكمة فهو يبسط ويقدر بالحكمة [١]..

١٠ – الآية: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٧).

البيان: ولو وسع الله الرزق لجميع عباده – كما يبتغون – لطغوا في الأرض وظلموا، ولكن الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء حسبما اقتضته حكمته، إن الله محيط علماً بما خفي وظهر من أمور عباده فيقدر بحكمته لكل ما يصلح شأنه [٢].

١١ – الآية: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٧).

البيان: لينفق صاحب بسطة في الرزق مما بسطه الله له. ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله. لا يكلف الله نفسا إلا ما أعطاها، سيجعل الله بعد ضيق فرجا [٣].

١٢ – الآية: ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ (الفجر: ١٥ – ١٧).

البيان: بسط الرزق أو فيضه ابتلاء من الله لعبده ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر. ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر. والجزاء على ما يظهر منه بعد وليس ما أعطى من عرض الدنيا أو منع هو الجزاء.

وقيمة العبد عند الله لا تتعلق بما عنده من عرض الدنيا ورضي الله أو سخطه

---

(١) الطباطبائي جـ١٨ ص ٢٦ .
(٢) المنتخب: ص ٧١٨ .
(٣) المنتخب: ص ٨٣٥ .

لا يستدل عليه بالمنح والمنع في هذه الأرض . فهو يعطي ليبتلي والمعول عليه هو نتيجة الابتلاء . فإذا عمر قلب الإنسان بالإيمان اطمأن إلى قدر الله به في الحالين[١] .

وأما إذا ما ابتلاه أي امتحنه بالفقر واختبره فقدر عليه رزقه أي يضيقه على مقدار البلغة [٢] .

وعن ابن عباس في تفسيره للآية وأما إذا اختبره بالفقر فقدر عليه معيشته فيقول ربي أهانني بالفقر وضيق المعيشة كلا وهو رد عليه ليس إكرامي بالمال والغنى وإهانتي بالفقر وقلة المال ولكن إكرامي بالمعرفة والتوفيق وإهانتي بالنكرة والخذلان [٣] .

* * * * *

التفضيل في الرزق

الآية: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (النحل: ٧١) .

البيان: أي جعل منكم غنياً وفقيرا وحرا وعبيدا [٤] .

إن الرزق حاصل لجميع الخلق وأن تفاضل الناس فيه غير جار رغباتهم ولا على استحقاقها ولذلك أسند التفضيل في الرزق إلى الله تعالى لأن أسبابه خارجة عن إحاطة عقول البشر والحكيم لا يستنفره ذلك [٥] .

- لهذا التفضيل في الرزق أسبابه الخاضعة لسنة الله قد تكون بسطة الرزق ابتلاء من الله كما يكون التضييق فيه لحكمة يريدها ويحققها بالابتلاء [٦] .

---

(١) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٩٠٥ .
(٢) القرطبي: ٢٠ / ٥١ .
(٣) السيوطي: ٦ / ٢٩١ .
(٤) القرطبي: ١٠ / ١٤٠ .
(٥) ابن عاشور: جـ١٤ ص ٢١٤ .
(٦) سيد قطب: جـ٤ ص ٢١٨٣ .

- الله فرق بينكم في الرزق فبعضكم حر مستقل في التصرف فيه وبعضكم عبد تبع له . وكون هذا المعنى نعمة من الله إنما هو من صلاح المجتمع الإنساني أن يتسلط بعضهم على بعض فيصلح القوي الضعيف بصالح التدبير ويكمله [١] .

* * * * *

التقوى وتيسير الرزق

١ - الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٦٦) .

البيان: هذه الآيات تصور أصلاً كبيرا من أصول التصور الإسلامي الذي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله بإذن الله وفق شرط الله ومن ثم يجعل العمل المنتج المثمر وتوفير الرخاء باستخدام كل مقدرات الأرض وخاماتها ومواردها هو الوفاء بوظيفة على هذا النمو يظفر بخيرات الأرض التي سخرها الله له فيفيض عليه الرزق من فوقه ومن تحت رجليه [٢] .

٢ - الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦) .

البيان: القاعدة المقررة في القرآن أن الإيمان الصحيح سبب لسعادة الدنيا ونقمها بالحق والاستحقاق وأن الكفار قد يشاركونهم في المادي منها فيكون ذلك الفتح ابتلاء واختبارا لحالهم كان أثره فيهم فرح البطر والأشر بدلاً من الشكر وترتب عليه العقاب الإلهي فكان نقمة وفتنة لا بركة (كما جاء في آية سورة الأنعام) .

وأما المؤمنون فإن ما يفتح عليه يكون بركة ويكون أثره فيهم الشكر لله عليه

---

(١) الطباطبائي: جـ١٢ ص ١٥ .

(٢) سيد قطب: جـ٢ ص ٩٣٢ .

والرضا منه والاغتباط بفضله واستعماله في سبيل الخير دون الشر وفي الإصلاح دون الإفساد ، ويكون جزاؤهم عليه من الله تعالى زيادة النعم ونموها في الدنيا وحسن الثواب عليها في الآخرة [١] .

٣ - الآية: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ (هود: ٥٢) .

البيان: هناك ارتباط تام بين الأعمال الإنسانية وبين الحوادث الكونية التي تمسه فالأعمال الصالحة توجب فيضان الخيرات ونزول البركات والأعمال الطالحة تستدعي تتابع البلايا والمحن وتجلب النقمة والشقوة والهلكة [٢] .

٤ - الآية: ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل: ١١٢ - ١١٤) .

البيان: إن القرية إذا أمنت المخاطرات كمهاجمة الأشرار وشن الغارات وقتل النفوس وسبي الذراري ونهب الأموال وكذا أمنت الحوادث الطبيعية كالزلازل وغيرها اطمأنت وسكنت فلم يضطر أهلها إلى الجلاء والتفرق . ومن كمال اطمئنانها أن يأتيها رزقا رغدا من كل مكان ولا يلجأ أهلها إلى الاغتراب وقطع الفيافي وركوب وتحمل المشاق البالغة في طلب الرزق وجلبه إليها . فإذا كفر أهلها بهذه النعم الإلهية ولم يشكروه سبحانه فيذيقهم الله شيئا يسيرا من نقمته بسلب هذه النعم وبإذاقتهم الجوع والخوف جزاء لكفرانهم نعم الله عليهم [٣] .

٥ - الآية: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَكَمْ

(١) المنار: رشيد رضا - جـ٩ ص ٢٤ .
(٢) الطباطبائي: جـ١٠ ص ٣٠٠ .
(٣) الطباطبائي: جـ١٢ ص ٣٦٣ .

أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: ٥٧ ، ٥٨) .

البيان: إن كثيرا من أهل القرى كانت حالهم كحال هؤلاء في الزمن وخفض العيش والدعة حتى بطروا واغتروا ولم يقوموا بحق النعمة فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم (١) .

- بطرت معيشتها المراد: بطرت حالة معيشتها أي نعمة عيشها والمعيشة هنا بمعنى العيش ويعلم أنها حالة حسنة من قوله: ﴿ بَطِرَتْ ﴾ وهي حالة الأمن والرزق(٢) .

٦ - الآية: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (سبأ: ١٥ ، ١٦) .

البيان: إنهم لما أعرضوا عن شكر الله وعن العمل الصالح والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم سلبهم سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه فأرسل السيل الجارف فحطم السد فضيق عليهم الرزق وبدلهم من الرفاهية والنعماء خشونة وشدة (٣) .

٧ - الآية: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: ٢ ، ٣) .

البيان: ومن يخف الله فيقف عند أوامره ونواهيه يجعل له مخرجا من كل

---

(١) الألوسي: جـ١٠ ص ٩٨ .
(٢) ابن عاشور: جـ٢٠ ص ١٤٨ - ١٥٢ .
(٣) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٩٠١ .

ضيق . ويهيىء لـه أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله ومن يفوض إلى الله كل أموره فهو كافيه .

إن الله بـالغ أمـره مـنفذ مشيئته ، قد جعل الله لكل شيء وقتا لا يعدوه تقديرا ولا يجاوزه [١] .

٨ - الآيـة: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح: ١٠ - ١٢) .

البيان: اعلم أن الخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة فلا جرم أن أعلمهم الله تعـالى أن إيمـانهم بـالله يجمـع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا [٢] .

- في هذه الآيات دلالة على أن الله يجازي عباده الصالحين بطيب العيش[٣] .

- قد ربط الله بين الاستغفار وصلاح القلوب واستقامتها على هدى الله وبين تيسـير الـرزق والرخاء وهذه قاعدة يقرها القرآن في مواضع متفرقة وسنة من سنن الحياة[٤] .

٩ - الآيـة: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن: ١٦ - ١٧) .

البيان: هذه الآية تحتوي على ثلاث حقائق:

الحقـيقة الأولى: هـي الارتـباط بـين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله .

وبـين إغـداق الـرخاء وأسـبابه وأولها توافـر الماء ، ومالـه من أهمية عمرانية وارتباطه بالتمكين في الأرض .

---

(١) المنتخب: ص ٨٣٥ .

(٢) الرازي: جـ٣٠ ص ١٣٨ .

(٣) ابن عاشور: جـ٢٩ ص ١٩٩ .

(٤) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٧١٣ .

الحقيقة الثانية: هي أن الرخاء ابتلاء من الله للعباد وفتنة . والصبر على الرخاء والقيام بواجب الشكر عليه والإحسان فيه أشق وأندر من الصبر على الشدة . فالابتلاء بنعمة المال كثيرا ما يقود إلى فتنة البطر وقلة الشكر مع السرف أو البخل . والابتلاء بنعمة القوة كثيرا ما تقود إلى الطغيان والجور .

الحقيقة الثالثة: هي أن الإعراض عن ذكر الله الذي قد ينتهي إليه فتنة الابتلاء بالرخاء مؤدٍ إلى عذاب الله (١) .

* * * * *

جريان الرزق

١ - الآية: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٣) .

البيان: لنتأمل عظمة الأداء القرآني في قوله: ﴿ وَعلَى الْمَوْلُودِ ﴾ إن لم يقل - وعلى الولد - وجاء بالمولود له ليكلفه بالتبعات في الرزق والكسوة لأن مسئولية الإنفاق على المولود هي مسئولية الوالد وليست مسئولية الأم فعلى الأب رزقه وكسوته هو ، وعليه أيضا رزق وكسوة أمه التي ترضعه بالمعروف المتعارف عليه بما لا يسبب إجحافا وظلما للأب في كثرة الإنفاق ويقول الحق: ﴿ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٢) .

٢ - الآية: ﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا

---

(١) سيد قطب: جـ ٦ ص ٣٧٣٤ .

(٢) تفسير الشعراوي جـ١٣ ص ١٠٢ .

وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (النساء: ٥) .

البـــيان: معنى الرزق من العباد هو الإجراء الموظف لوقت معلوم يقال فلان رزق عياله أي أجري عليهم إنما قال: ﴿ فِيهَا ﴾ ولم يقل منها لئلا يكون ذلك أمرا بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقا لهم بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها ويثمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال [١] .

- الرزق يعم وجوه الإنفاق كلها كالأكل والمبيت والزواج والكسوة وإنما خص الكسوة بالذكر لأن الناس يتساهلون فيها أحيانا . والمعنى كل النفقات المرتبة في أوقات معينة تسمى رزقا وهو معنى اصطلاحي أخص من المعنى اللغوي والغرض من هذا وذاك جعلهم الرزق هنا شاكلاً لأنواع النفقات الواجبة بالنص حتى لا يقول قائل أن الواجب هو الطعام والكسوة دون الإيواء والتربية والتعليم وغير ذلك [٢] .

٣ - الآية: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (النساء: ٨) .

البـــيان: قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم من الوصية فإن لم تكن وصية وصل لهم من الميراث وهذا أحسن ما في الآية أن يكون على الندب والترغيب في فعل الخير [٣] .

٤ - الآية: ﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (يوسف: ٣٧) .

البـــيان: قال لهما يوسف عليه السلام يؤكد ما علماه عنه: لا يأتيكما طعام يساق إليكما رزقا مقدرا لكما . إلا أخبرتكما بمآله إليكما قبل أن يأتيكما . وذكرت

(١) الرازي: م ٥ جـ٩ ص ١٩٣ .
(٢) المنار - رشيد رضا - جـ ٤ ص ٣٨٥ .
(٣) القرطبي: جـ٥ ص ٣٣ .

لكما صنعته وكيفيته، ذلكما التأويل للرؤيا والإخبار بالمغيبات مما علمني ربي وأوحى به إليَّ لأني أخلصت له عبادتي [١].

* * * * *

جعل المعايش

١ - الآية: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٠).

البيان: إن الإنسان هو ابن هذه الأرض وهو ابن هذا الكون لقد أنشأه من هذه الأرض ومكنه فيها وجعل له فيها أرزاقا ومعايش ويسر له المعرفة التي تسلمه مفاتيحها وجعل نواميسها موافقة لوجود هذا الإنسان تساعده - حين يتعرف إليها على بصريته - وتيسر حياته.

في ظل هذا التصور الإسلامي يعيش الإنسان في كون مأنوس صديق وفي رعاية قوة حكمية مدبرة يعيش مطمئن القلب مستريح النفس ثابت الخطو ينهض بالخلافة عن الله في الأرض في اطمئنان الواثق بأنه معان على الخلافة ويتعامل مع الكون بروح المودة والصداقة.

ويشكر الله كلما اهتدى إلى سر من أسرار الوجود وكلما تعرف إلى قانون من قوانينه التي تعينه في خلافته وتيسر له قدرا جديدا من الرقي والراحة والمتاع [٢].

٢ - الآية: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ (الحجر: ٢٠).

البيان: معايش: أي ما تعيشون به من المطاعم والمشارب والملابس وغيرها مما يتعلق بالبقاء وجعلنا لكم من لستم برازقين من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها لرد حسبان بعض الجهلة أنهم

---

(١) المنتخب: ص ٣٣٧.

(٢) سيد قطب: جـ٣ ص ١٢٦٣.

يرتزقون منهم ولتحقيق أن الله تعالى يرزقهم وإياهم مع ما في ذلك من عظيم الامتنان [١] .

* * * * *

حمل الرزق

الآية: ﴿ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت: ٦٠) .

البيان: يسوي بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الجلد والعاجز حتى لا يغتر الجلد أنه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**» (رواه الترمذى ، والإمام أحمد ، وابن ماجة ، والحاكم في المستدرك عن ابن عمر) . قال مجاهد يعلى الطير والبهائم تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئا . وقال الحسن: تأكل لوقتها ولا تدخر لغد [٢] .

كثير من الدواب التي تعيش معكم في الأرض لا تستطيع لضعفها أن تحمل رزقها وتنقله لتأكله أو تدخره ، الله يهيئ لها أسباب رزقها وحياتها ، ويهيئ لكم أسباب رزقكم وحياتكم ، وهو المحيط بكل ما خلق سمعاً وعلماً [٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود: ٦) .

والمعنى: وما دابة من أنواع الدواب في الأرض إلا على الله رزقها على

---

(١) الألوسي: م ٧ جـ ١٤ ص ٣٠ .
(٢) تفسير القرطبي: ١٣ / ٣٦٠ .
(٣) المنتخب: ص ٥٩٩ .

اختلاف أنواعها وأنواعه فقد خلق لكل منها الرزق الذي تعيش به وأنه سخره لها وهداها إلى طلبه وتحصيله [١] .

* * * * *

خزائن الرزق

١ - الآيـة: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر: ٢١) .

البيان: شبه اقتداره تعالى على كل شيء وإيجاده لما يشاء بالخزائن المودعة فيها الأشياء يخرج منها بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها فخصص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود وهذا البيان سر عدم تكون الأشياء على وجه الكثرة حسبما هو في الخزائن . والآية تبين سعة القدرة وبالغ الحكمة [٢] .

٢ - الآيـة: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون: ٧) .

البيان: المعنى أن المنافقين لا يفقهون أن خزائن العالم بيد الله وهو الرازق لا رازق غيره فلو شاء لأغنائهم لكنهم يحسبون أن الغنى والفقر بيد الأسباب فلو لم ينفقوا على أولئك الفقراء من المؤمنين لم يجدوا رازقاً يرزقهم فهم لا يفقهون وجه الحكمة في ذلك وهي أن الله تعالى يختار ما هو الأصلح فيمتحنهم بالفقر ويتعبدهم بالصبر ليؤجرهم أجراً ويهديهم صراطاً مستقيما والمنافقون في جهل من ذلك [٣] .

الدعاء بالرزق:

١ - الآيـة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ

(١) المنار: ١٢ / ١٢ .
(٢) الألوسي: م ٧ جـ ١٤ ص ٣٠ .
(٣) الطباطبائي: جـ١٩ ص ٢٨٢ .

مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ١٢٦) .

البيان: لقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها .

وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة . وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك من كونه منبع الإسلام ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ دعاء لهم بالرفاهية حتى لا تطمح نفوسهم للارتحال عنه [1] .

٢ - الآية: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة: ١١٤) .

البيان: فاستجاب لهم عيسى وقال: يا ربنا ومالك أمرنا أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيدا للمؤمنين منا ، المتقدمين والمتأخرين ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك وارزقنا رزقا طيبا وأنت خير الرازقين [2] .

٣ - الآية: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧) .

البيان: يا ربنا إني أسكنت بعض ذريتي في وادي مكة الذي لا ينبت زرعا ، عند بيتك الذي حرمت التعرض له والتهاون بشأنه وجعلت ما حوله آمنا . ربنا فأكرمهم ليقيموا الصلاة بجوار هذا البيت ، فاجعل قلوبا خيرة من الناس تميل إليهم لزيارة بيتك وارزقهم من الثمرات بإرسالها إليهم مع الوافدين ليشكروا نعمتك

---

(١) ابن عاشور: جـ١ ص ٧١٥ .

(٢) المنتخب: ص ١٦٩ .

بالصلاة والدعاء [١].

٤ - الآيـة: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٨).

البيان: أمر الله بإرفاق عدم الإعطاء لعدم الموجدة لئلا يحمل الإعراض على قلة الاكتراث والشح. وهذا تأديب للمؤمن إن كان فاقداً ما يبلغ به إلى فعل الخير أن يرجو من الله تيسير أسبابه، وأن لا يجعله الشح على السرور بفقد الرزق للراحة من البذل بحيث لا يعدم البذل الآن إلا وهو راج أن يسهل له في المستقبل حرصاً على فضيلته وأن لا ينبغي أن يعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل إلا في حالة رجاء حصوله نعمة فإن حصلت أعطاهم [٢].

* * * * *

دوام الرزق

الآيـة: ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: ٦٢).

البيان: وهم في تلك الجنات لا يجري بينهم لغو الحديث ولا يسمعون إلا خيرا وأمناً، رزقهم فيها رغداً مكفولاً دائماً [٣].

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ

(١) المنتخب: ص ٢٦٩.
(٢) ابن عاشور: جـ١٥ ص ٨٣.
(٣) المنتخب: ص ٤٥٠.

أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٧٥).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الحج: ٥٨).

وفي الرزق الحسن قولان: أحدهما: أنه الحلال.

قال ابن عباس. والثاني: رزق الجنة قال السدي [١].

* * * * *

الرزق الأحسن

الآية: ﴿ رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ (الطلاق: ١١).

البيان: فوق نعمة الذكر والنور والهداية والصلاح، وعد بنعيم الجنات خالدين فيها أبدا، وتذكير بأن هذا الرزق هو أحسن الرزق فلا يقاس إليه رزق الأرض ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾. وهو الرزق في الدنيا والآخرة. ولكن رزقا خير من رزق واختياره للأحسن هو الاختيار الحق الكريم [٢].

* * * * *

الرزق بغير حساب

١ - الآية: ﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢١).

---

(١) ابن الجوزي: ٥ / ٤٤٥.

(٢) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٦٠٦.

البيان: الرزق هو كل ما ينتفع به ؛ علمك رزق ، وخلقك رزق ، وجاهك رزق ، وكل شيء تنتفع به رزق . وعلى الإنسان أن يعمل في الأسباب ولكنه لا يأخذ حسابا من الأسباب ويظن أن ذلك هو رزقه ، لأن الرزق قد يأتي من طريق لم يدخل في حسابك فالله يرزق بغير حساب لأن خزائنه لا تنفد - تنتهي - ويرزق بغير حساب لأنه لا يحكمه قانون وإنما يعطي بطلاقه القدرة [1] .

٢ - الآية: ﴿ **تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (آل عمران: ٢٧) .

البيان: قول الحق: ﴿ **وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ تعني قدرة الحق المطلقة على الرزق بغير حساب . ولا توجد سلطة أعلى منه تقول له: لماذا فعلت؟ أو ماذا أعطيت؟ . . أو من غير حساب منه سبحانه لخلقه فيأتي الرزق على ما هو فوق أسباب الخلق . . أو من غير حساب للناس المرزوقين فيأتي رزقهم من حيث لم يقدروا [2] .

٣ - الآية: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (آل عمران: ٣٧) .

البيان: يكفي أن نعرف أن مريم كانت مباركة يفيض من حولها الخير ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقا . حتى ليعجب كافلها - وهو نبي - من فيض الرزق فيسألها: كيف؟ ومن أين هذا كله؟ فلا تزيد على أن تقول في خشوع المؤمن وتواضعه واعترافه بنعمة الله وفضله وتفويض الأمر إليه كله: ﴿ **هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [3] .

---

(١) تفسير الشعراوي: جـ ١٢ ص ٩١٤ - ٩١٦ .

(٢) تفسير الشعراوي: جـ١٨ ص ١٤١٧ .

(٣) سيد قطب: جـ١ ص ٣٩٣ .

٤ - الآيـة: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور: ٣٧ - ٣٩) .

البيان: إن التجارة والبيع لتحصيل الكسب والشراء لا تشغلهم عن أداء حق الله في الصلاة وأداء حق العباد في الزكاة . وهم يخافون ويعقلون رجاءهم بثواب الله[١] .

أما الذين كفروا فنهاية عملهم سراب ضائع إلى الهلاك والعذاب لأنه لا عمل بغير عقيدة ولا صلاح بغير إيمان .

٥ - الآيـة: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر: ٤٠) .

البيان: قسم العمال إلى ذكر وأنثى للاهتمام في الشمول . وجعل العمل عمدة ركنا من القضية الشرطية الإيمان حالاً للدلالة على أن الإيمان شرط في اعتبار العمل والاعتداد به والثواب عليه[٢] .

- إن الآية فيها إشارة إلى المساواة بين الذكر والأنثى في قبول العمل وتقييد الصالح في تأثيره بالإيمان[٣] .

قد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات رحمة من الله بعباده وتقديرا بضعفهم وللجواذب والموانع في طريق الخير والاستقامة . فضاعف لهم الحسنات وجعلها كفارات للسيئات فإذا هم

(١) سيد قطب: جـ٤ ص ٢٥٢٠ .
(٢) الألوسي: جـ١٢ ص ٧٠ .
(٣) الطباطبائي: جـ ١٧ ص ٣٢٥ .

وصلوا إلى الجنة بعد الحساب رزقهم الله منها بغير حساب [١] .

* * * * *

الرزق الحسن

١ - الآية: ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود: ٨٧ ، ٨٨) .

البيان: الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل كافر فرد وكل جماعة فيه وإن خيل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي ويضيع بعض الفرص فإنما يفوت الكسب الخبيث ويضيع الفرص القذرة ويعوض عنهما كسبا طيبا ورزقا حلالا ومجتمعا متضامنا متعاونا لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام [٢] .

٢ - الآية: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل: ٦٧) .

البيان: الرزق الحسن: ما كان حلالا . ويقال: هو ما أتاك من حيث لا تحتسب . ويقال: هو الذي لا منة لمخلوق فيه ولا تبعة عليه .

ويقال: هو ما لا يعصي الله مكتسبه في حال اكتسابه .

ويقال: هو ما لا ينسى الله فيه مكتسبه [٣] .

٣ - الآية: ﴿ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا

---

(١) سيد قطب: جـ ٥ ص ٣٠٨٣ .

(٢) سيد قطب: جـ ٤ ص ١٩٢١ .

(٣) القشيري: جـ٢ ص ٣٠٦ .

رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٧٥) .

البيان: جعل الله مثلاً يوضح فساد ما عليه المشركون . هو عبد مملوك لا يقدر على فعل شيء ، وحر رزق رزقا طيباً فهو يتصرف فيه وينفق منه في السر والجهر .

هل يستوي العبيد الذين لا يقدرون على شيء والأحرار الذي يملكون ويتصرفون فيما يملكون؟ إن الله مالك كل شيء فهو يتصرف في ملكوته كما يريد وغيره لا يملك أي شيء فلا يستحق أن يعبد ويحمد ، الثناء كله حق لله وحده . والتنزيه له وحده [١] .

٤ - الآية: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الحج: ٥٨) .

البيان: الذين هاجروا في سبيل الله سواء لاقوا الله شهداء بالقتل أو لا قوه على فراشهم بالموت لقد خرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيله مستعدين لكل مصير واستروحوا الشهادة في هجرتهم عن أي طريق وضحوا بكل عرض الحياة وتجردوا بهذا لله فتكفل الله لهم بالعوض الكريم عما فقدوه ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ وهو رزق أكرم وأجزل من كل ما تركوا . وقد خرجوا مخرجاً يرضى الله فتعهد لهم الله بأن يدخلهم مدخلا يرضونه [٢] .

* * * * *

الرزق الحلال

١ - الآية: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤٠) .

البيان: تحريم ما أحل الله من أعظم أنواع الحماقة لأنه يمنع نفسه بتلك المنافع

---

(١) المنتخب: ص ٣٩٧ .

(٢) سيد قطب: جـ ٤ ص ٢٤٣٨ .

والطيبات ويستوجب بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العذاب والعقاب . لأنه افتراء على الله ومعلوم أن الجراءة على الله والافتراء عليه أعظم الذنوب وأكبر الكبائر [١] .

٢ - الآية: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٢) .

البيان: لقد كانت غريزة حب الزينة وغريزة حب الطيبات من الرزق سببا لتوسع البشر في أعمال الفلاحة والزراعة وما يرقبها من فنون الصناعة ووسائل العمران .

فحب الزينة أعظم أسباب العمران وإظهار استعداد الإنسان تعرفه سنن الله وآياته في الكون فهي غير مذمومة في نفسها وإنما يذم الإسراف فيها والغفلة عن شكر المنعم بها وأنها حق المؤمنين في الدنيا وأنه يجب أن يكونوا من الشاكرين عليها ذلك الشكر الذي يحفظها لهم ويكون سبباً للمزيد فيها يحسب وعد الله تعالى وسنته في خلقه [٢] .

٣ - الآية: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس: ٥٩) .

البيان: قل - أيها الرسول - للكفار الذين أوتوا بعض متاع الدنيا: أخبروني عما منحكم الله من رزق حلالاً طيباً ، فأقمتم من أنفسكم مشرعين . تجعلون بعضه حلالا وبعضه حراما دون أن تأخذوا بشرع الله؟ إن الله لم يأذن لكم في هذا بل أنتم تكذبون في ذلك على الله [٣] .

* * * * *

---

(١) الرازي: م ٧ جـ ١٣ ص ٢٢١ .
(٢) المنار: رشيد رضا - جـ ٨ ص ٣٨٨ .
(٣) المنتخب: ص ٢٩٦ .

رزق الربوبية الخير الأبقى

الآية: ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (طه: ١٣١).

البيان: عن أبي كعب أنه قال في معنى هذه الآية: ومن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا. ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يظل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه [١].

- معنى الآية ليست دعوة للزهد في طيبات الحياة ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصلية الباقية وبالصلة بالله والرضا به فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء وتبقى دائماً تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار [٢].

* * * * *

الرزق الكريم

١ - الآية: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠).

البيان: إن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة قائلين: اتركوا لنا بعض الماء يفيض علينا أو أعطونا شيئا مما أعطاكم الله تعالى من طيبات المأكل والملبس وسائر متع أهل الجنة. فيجيبهم أهل الجنة: إننا لا نستطيع لأن الله منع ذلك كله عن القوم الجاحدين الذين كفروا به وبنعمه في الدنيا [٣].

٢ - الآية: ﴿ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

---

(١) الطبري: جـ٢ ص ٥٤ - ٥٥.
(٢) سيد قطب: جـ٤ ص ٢٣٥٧.
(٣) المنتخب: ص ٢١٢.

كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٤).

البيان: إن هؤلاء المتصفين بتلك الصفات هم الذين يوصفون بالإيمان حقا وصدقا ولهم جزاؤهم درجات عالية عند الله وهو الذي يمنحهم سبحانه رضاه ويغفر لهم هفواتهم ويرزقهم سبحانه رزقا طيبا في الدنيا ونعيما في الآخرة [١].

٣ - الآية: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٧٤).

البيان: والذين آمنوا وهاجروا في سبيل، والذين آووهم ونصروا الحق وكلمة الله، هم الصادقون الإيمان، والله تعالى يغفر لهم، ولهم رزق كبير في الدنيا والآخرة[٢].

٤ - الآية: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحج: ٥٠).

البيان: فالذين آمنوا بالله وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحة لهم مغفرة من الله لذنوبهم التي وقعوا فيها كما أن لهم رزقا كريما في الجنة [٣].

٥ - الآية: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (النور: ٢٦).

البيان: هؤلاء الطيبون مبرؤون من التهم التي يصفهم بها الخبيثون ولهم مغفرة من الله مما لا يخلو منه البشر من صغار الذنوب وإكرام عظيم بنعيم الجنة وطيباتها[٤].

٦ - الآية: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣١).

البيان: ومن يدم منكن - نساء النبي ﷺ - الخضوع لله ورسوله وتعمل صالحا

---

(١) المنتخب: ص ٢١٢.

(٢) المنتخب: ص ٢٥٦.

(٣) المنتخب: ص ٤٩٦.

(٤) المنتخب: ص ٥٢١.

يعطها الله أجرها مرتين وأعددنا لها في الآخرة رزقا جليل القدر [١].

٧ - الآيــة: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (سبأ: ٤).

البيان: ليثيب الله الذيـن آمنوا وعملوا الخير لأنفسهم وللناس أولئك المؤمنون العاملون لهم من الله مغفرة تمحو ذنوبهم ورزق واسع لا من فيه [٢].

٨ - الآيــة: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ (ص: ٤٩ - ٥٤).

البيان: مشهد من مشاهد القيامة منظر المتقين لهم حسن مآب فلهم جنات عدن مفتحة لهـم الأبـواب ولهـم فيها راحة الاتكاء ومتعة الطعام والشراب ولهم كذلك متعة الحوريـات الشـواب وهن مع شبابهن قاصرات الطرف لا يتطلعن ولا يمددن بأبصـارهن وكـلهن شـواب أتـراب. وهـو متاع دائم ورزق من عند الله ما لـه من نفاد[٣].

* * * * *

الرزق المعلوم

الآيــة: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُـومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَـيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (الصافات: ٣٩ - ٤٩).

البـيان: إلا عـباد الله المخلصين فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل إيمان

---

(١) المنتخب: ص ٦٢٧.

(٢) المنتخب ص ٦٣٥.

(٣) سيد قطب: جـ ٥ ص ٢٠٢٣.

وطاعة. هؤلاء المخلصون لهم في الآخرة رزق معلوم عند الله [١].

* * * * *

الرزق الطيب

١ - الآية: ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٦).

البيان: مضمون هذه الآية صادق على المسلمين في كل عصر النبوة والخلافة الراشدة بجماعتهم لم تزل في ازدياد عزة ومتعة ولم تزل منصورة على الأمم العظيمة التي كانوا يخافونها من قبل أن يؤمنوا. وقد ينبههم الله تعالى بقوله لعلكم تشكرون، فلما أعطوا حق الشكر دام أمرهم في تصاعد، وحين نسوه أخذ أمرهم في تراجع ولله عاقبة الأمور.

وقد ذكرهم الله تعالى بنعمة توفير الرزق في خلال المنة بنعمة البصر وتوفير العدد بعد الضعف والقلة فإن الأمن ووفرة العدد يجلبان سعة الرزق [٢].

قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ٥٧).

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٢).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس: ٥٧).

---

(١) المنتخب: ص ٦٦٤.

(٢) ابن عاشور: جـ ٩ ص ٣٢٠.

قيل عنى بقوله: ﴿ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ من حلاله الذي أنجناه لكم فجعلناه لكم رزقا[١].

٢ - الآية: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس: ٩٣).

البيان: ولقد مكنا لبني إسرائيل بعد ذلك فعاشوا في أرض طيبة محافظين على دينهم بعيدين عن الظلم الذي كانوا فيه، موفورة الأرزاق والنعم. ولكنهم ما أن ذاقوا نعمة العزة بعد الهوان حتى أصابهم داء الفرقة فاختلفوا مع أنه قد تبين لهم الحق والباطل وسيقضي الله بينهم يوم القيامة ويجزي كلا منهم بما عمل[٢].

٣ - الآيات: ﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٢).

البيان: والله جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل لكم من أزواجكم بنين وأبناء بنين، ورزقكم ما أباحه لكم مما تطيب به نفوسكم أبعد ذلك يشرك به بعض الناس فيؤمنون بالباطل ويجحدون نعمة الله المشاهدة وهي التي تستحق منهم الشكر وإخلاص العبادة لله[٣].

٤ - الآية: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: ٧٠).

البيان: الإنسان ينسى ما رزقه الله من الطيبات بطول الألفة فلا يذكر الكثير من هذه الطيبات التي رزقها إلا حين يحرمها، فعندئذ يعرف قيمة ما يستمتع به، ولكنه سرعان ما يعود فينسى.. هذه الشمس.. هذا الهواء.. هذا الماء.. هذه

---

(١) الطبري: ١ / ٢٣٧.

(٢) المنتخب: ص ٣٠٢.

(٣) المنتخب: ص ٣٩٦.

الصحة هذه القدرة على الحركة - هذه الحواس . . هذا العقل . . هذه المطاعم والمشارب والمشاهد . هذا الكون الذي استخلف فيه وفيه من الطيبات ما لا يحصيه . . فضلناهم بهذا الاستخلاف في ملك الأرض وبما ركب في فطرتهم من استعدادات تجعل هذا المخلوق الإنساني فذاً بين الخلائق في ملك الله [١] .

٥ - الآية: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (غافر: ٦٤) .

البيان: الله وحده الذى جعل لكم الأرض مستقرة صالحة لحياتكم عليها والسماء بناء محكما مترابطا وقدر خلقكم فأبدع صوركم وجعلكم فى أحسن تقويم ، ورزقكم من المباحات ما يلذكم . ذلك المنعم بهذه النعم الله ربكم ، فتعالى الله مالك العوالم كلها ومربيهم [٢] .

٦ - الآية: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الجاثية: ١٦) .

البيان: الطيبات: هى التى تطيب عند الناس وتحسن طعما ومنظراونفعا وزينة[٣] .

* * * * *

الرزق من لدن الله

الآية: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص: ٥٧) .

البيان: اعلم أنه تعالى إنما بين أن تلك الأرزاق ما وصلت إليهم إلا من الله تعالى لأجل أنهم متى علموا ذلك صاروا بحيث لا يخافون أحدا سوى الله تعالى ولا

---

(١) سيد قطب: جـ ٤ ص ٢٢٤١ .
(٢) المنتخب: ص ٧٠٢ .
(٣) ابن عاشور: جـ ٢٥ ص ٣٤٥ .

يرجون أحدا غير الله تعالى ، فيبقى نظرهم منقطعا عن الخلق متعلقا بالخالق وذلك يوجب كمال الإيمان من الإعراض بالكلية عن غير الله تعالى والإقبال بالكلية على طاعة الله تعالى [(١)] .

زينة الأرض للابتلاء:

الآية: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ (الكهف: ٧) .

البيان: لا تكون الأشياء زينة إلا وهى مبثوثة فيها الحياة التى بها نماؤها وازدهارها وهذه الزينة مستمرة على وجه الأرض مذ رآها الإنسان . ومن لوازم هذه الزينة أنها توقظ العقول إلى النظر فى وجود منشئها وتسبر غور النفوس فى مقار الشكر لخالقها . ومن لوازمها أيضا أنها تثير الشهوات لاقتطافها وتناولها وتعارض الشهوات فى الاستيثار بها مما يفضى إلى تغالب الناس بعضهم بعضا واعتداء بعضهم على بعض وذلك الذى أوجد حاجتهم إلى الشرائع لتضبط لهم أحوال معاملتهم ولذلك علل ما جعل على الأرض زينة بقوله: ﴿ **لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ أى أفوت فى حسن العمل من القلب المراجع إلى الإيمان والكفر وعمل الجسد المبتدى فى الامتثال للحق أوالحيدة عنه [(٢)] .

زينة الحياة الدنيا للابتلاء:

١ - الآية: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** ﴾ (آل عمران: ١٠) .

البيان: الإنسان فى بادئ تكونه وشعوره يرى نفسه محتاجاً على الخارج منه وهذا أول علمه الفطرى إلى احتياجه إلى الصانع المدبر ثم إنه لما توسط فى الأسباب بدأ بإحساس الحاجة إلى كماله البدنى النباتى وهو الغذاء والولد ثم عرفت له

---

(١) الرازي: م ١٣ جـ ٢٥ ص ٣٤٥ .

(٢) ابن عاشور: جـ ١٥ ص ٢٥٧ .

نفسه سائر الكمالات الحيوانية وهى التى يزينها له الخيال من زخارف الدنيا من زينة الملبس والمسكن والمنكح وغير ذلك عندئذ يتبدل طلب الغذاء إلى طلب المال الذى يظنه مفتاحا لحل جميع مشكلات الحياة فيظن أن سعادته من المال والولد ثم فى الانكباب بنفسه على مشتهياتها وقصر همه على الأسباب وحينئذ ينسى ربه ويثبت بذيل المال والولد وفى هذا الجهل هلاكه فإنه يستر به آيات ربه ويكفر بها وقد التبس عليه الأمر فإن ربه هو الله لا إله إلا هو لا يستغنى عنه شيء بحال ولا يغنى عنه شيء بحال .[1] .

٢ - الآيـة: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران: ١٤) .

البيان: فى مجال التربية للجماعة المسلمة يكشف لها عن البواعث الفطرية الخفية التى من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تضبط باليقظة الدائمة وإذا لم تتطلع النفس إلى آفاق أعلى وإذا لم تتعلق بما عند الله وهو خير وأزكى . إن الاستغراق فى شهوات الدنيا ورغائب النفوس ودوافع الميول الفطرية هو الذى يشغل القلب عن البصر والاعتبار .

ولما كانت هذه الدوافع طبيعية وفطرية ومكلفة من قبل البارى أن تؤدى للبشرية دورا أساسيا فى حفظ الحياة وامتدادها وإن الإسلام لا يشير بكبتها وقتلها ولكن إلى ضبطها وتنظيمها وتخفيف حدتها واندفاعها وإلى أن يكون الإنسان مالكا متصرفا فيها لا تكون مالكة له متصرفة فيه وإلى تقوية روح التسامى فيه [2] .

٣ - الآيـة: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٢٨) .

البيان: أموال الإنسان عليها مدار معيشته وتحصيل رغائبه وشهواته ودفع كثير

---

(١) الطباطبائي: مجلد ٣ ص ٩٠ .

(٢) سيد قطب: جـ١ ص ٣٧٣ .

من المكاره عنه فهو يتكلف في كسبها المشاق ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام ويرغبه في القصد والاعتدال، ويفرض عليه الشرع فيها حقوقاً مقدرة وغير مقدرة كالزكاة ونفقات الأزواج والأولاد وغيرهم وكفارات بعض الذنوب المعينة من عتق وصدقة ونسك، ويندب له نفقات أخرى للمصالح العامة والخاصة تكفر الذنوب غير المعينة ويترتب عليه شيء عظيم من الأجر والثواب والضابط لجميع أنواع البذل من صفات السماحة والسخاء من أركان الفضائل ولجميع أنواع الإمساك البخل وهو من أمهات الرذائل ولكل منهما درجات ودركات [١].

٤ - الآية: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ منكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (التوبة: ٦٩).

البيان: أي كان مطلبهم من أعمالهم وسعيهم التمتع والتنعم بنصيبهم وحظهم الدنيوي من الأموال والأولاد لم يكن لهم مطلب ولا غرض من الدنيا إلا التمتع بعظمتها تطغيهم بها القوة وبلذاتها تغريهم بها الثروة وبزينتها تفرحهم بها كثرة الذرية لأنهم لم يكن لهم مقاصد شريفة عالية من الحياة سواها كالذي يقصده أهل الإيمان بالله ورسله والدار الآخرة من إعلاء كلمة الحق وإقامة ميزان العدل في الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٢].

٥ - الآية: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (هود: ١٥ - ١٦).

البيان: إن مدار الأرزاق في الدنيا على الأعمال السببية لا على النيات

---

(١) المنار: رشيد رضا - جـ ٩ ص ٦٤٥ .
(٢) المنار: رشيد رضا - جـ ١٠ ص ٥٣٧ .

والمقاصد الدينية ولكن لهداية الدين تأثيرا فيها من ناحية الأمانة والاستقامة والصدق والنصح واجتناب الخيانة والزور والغش وغير ذلك من الصبر والتعاون على البر والتقوى ولأهلها العاقبة الحسنة فيها . أما ما كان ظاهره البر والإحسان من أعمال الناس والباعث عليه سوء النية كالرياء والسمعة فلا ثمرة له ولا أجر في الآخرة وإنما الأعمال بمقاصدها والنتائج تابعة لمقدماتها فإن كان في عملهم خير ونية حسنة يجازون عليه في الدنيا [١] .

٦ - الآية: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٣) .

البيان: صورة الأمل الملهى صورة إنسانية حية فالأمل البراق ما يزال يخايل لهذا الإنسان وهو يجري وراءه وينشغل به ويستغرق فيه ، حتى يجاوز المنطقة المأمونة ، وحتى يغفل عن الله ، وعن القدر ، وعن الأجل ، وحتى ينسى هنالك واجباً ، وأن هنالك محظورا ، بل حتى ينسى أن هنالك إلهاً ، وأن هنالك موتاً ، وأن هنالك نشوراً . هذا هو الأمل القاتل الذي يُؤْمَرُ الرسول عليه السلام أن يدعهم له فسوف يعلمون حيث لا ينفع العلم بعد فوات الأوان وهو أمر فيه تهديد لهم لعلهم يصحون من الأمل الخادع الذي يلهيهم عن المصير المحتوم [٢] .

٧ - الآية: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (الكهف: ٤٦) .

البيان: المال والبنون زينة الحياة . والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات ولكنه يعطيهما القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد . إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة ، فما يجوز أن يوزن بهما الناس ولا أن يقدروا على أساسهما في الحياة ، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات . وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فإن الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملا عندما تتعلق بها القلوب ويناط بها الرجاء ويرتقب

(١) المنار: رشيد رضا - جـ١٢ ص ٤٨ .

(٢) سيد قطب: جـ ٤ ص ١١٢٦ .

المؤمنون نتاجها وثمارها يوم الجزاء [١] .

٨ - الآية: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٨ - ٨٩) .

البيان: لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله تعالى . ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين أي إلا من أتى بقلب سليم من فتنة المال والبنين [٢] .

٩ - الآية: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (القصص: ٦٠ - ٦١) .

البيان: إن المفاضلة بين هذا وذاك تحتاج إلى عقل يدرك طبيعة هذا وذاك ومن ثم يجيء التعقيب في هذه الصيغة للتنبيه لإعمال العقل في الاختيار أفلا يعقلون [٣]

١٠ - الآية: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٦ - ٧٨) .

البيان: إن هذه الآيات جماع ما في المنهج الإلهي القويم من قيم وخصائص تحقق التعادل والتناسق في حياة الإنسان فهذا المال هبة من الله من وجوه الحلال ولكنه يفرض منهجاً معينا للتصرف فيها وعدم الفساد في الأرض بالبغي والظلم

---

(١) سيد قطب: جـ٤ ص ٢٢٧٢ .
(٢) الرازي: جـ٢٤ ص ١٥٠ .
(٣) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٧٠٥ .

وإصارة الحرج والحسد والبغضاء في نفوس الناس [١].

١١ - الآيـة: ﴿ وَمَـا هَـذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

البيـان: القـرآن لا يعـني بهذا أن يحض على الزهد في متاع الدنيا والفرار منه وإلقائـه بعـيداً، إن هـذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه. إنما مراعاة الآخرة في هذا المتاع والوقـوف فـيه عـند حدود الله كما يقصد الاستعلاء عليه فلا تصبح النفس أسيرة لـه [٢].

١٢ - الآيـة: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الشورى: ٣٦).

البيـان: تقسيم الـرزق إلى مـا عـند الـناس مـن رزق الدنيا الشامل للمؤمن والكافـر ومـا عند الله من رزق الآخرة المختص بالمؤمنين. وإضافة المتاع إلى الحياة للإشـارة إلى انقطاعـه وعـدم ثباته ودوامه وكون ما عند الله خير لكونه خالصاً من الألم والكدر وكونه أبقى لكونه أدوم غير منقطع [٣].

الآيـة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (محمد: ١٢).

البيـان: إن الفـارق الرئيسـي بين الإنسان والحيوان: أن للإنسان إرادة وهدفا وتصورا خاصا للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة فإذا فقـد هذا كله فقد أهم خصائص الإنسان المميزة لجنسه وأهم المزايا التى من أجلها كرمه(الله) [٤].

١٤ - الآيـة: ﴿ إِنَّمَـا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ

---

(١) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٧١١.
(٢) سيد قطب: جـ ٥ ص ٢٧٥١.
(٣) الطباطبائي جـ١٨ ص ٦٢.
(٤) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٢٩٠.

وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٦ - ٣٧) .

البيان: الأموال لله وهى فى أيديكم عارية فلا معنى لبخلكم بمال الله) [١] .

- ما يكون طلب بذل المال إلا مصلحة الأمة وأية مصلحة أعظم من دفعها العدو عن نفسها لئلا يفسد فيها ويستعبدها لاتبخلوا بالبذل وتجعلوا تكليفكم بذلك سببا لإظهار ضغنكم على الذين لايعطون فيكثر الارتداد والنفاق وذلك يخالف مراد الله من تزكية نفوس الداخلين فى الإيمان وهذه الآية أصل فى سد ذريعة الفساد) [٢] .

١٥ - الآية: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد: ٢٠) .

البيان: هذه حقيقة لا يقصد بها القرآن العزلة عن حياة الأرض ولا إهمال عمارتها وخلافتها إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض [٣] .

١٦ - الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٩) .

البيان: خص الأموال والأولاد بتوجيه النهى عن الاشتغال بها اشتغالاً يلهي عن ذكر الله لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد ، ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت عن اكتسابها ونمائها تشغل عن ذكره أيضا بالتذكير

---

(١) الرازي: جـ٢٨ ص ٧٤ .

(٢) ابن عاشور جـ ٢٨ ص ١٣٥ .

(٣) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٤٩١ .

لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها . وأما ذكر الأولاد فهو إدماج لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شئونهم وقضاء الأوقات في التأنس بهم من شأنه أن ينسى عن تذكر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغيرهما . ولكن الاشتغال بالأموال والأولاد الذي لا يلهي عن ذكر الله ليس بمذموم وله مراتب [(١)] .

١٧ - الآية: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (الأعلى: ١٦ - ١٧) .

البيان: تميلون إليها فتقدمون حظوظكم منها على حقوق الله تعالى . والآخرة للمؤمنين خير وأبقى من الدنيا لطلابها [(٢)] .

- اعلم أن للمؤمنين حظاً من هذه الموعظة على طول الدهر ، وذلك حظ مناسب لمقدار ما يفرط فيه أحدهم مما ينجيه في الآخرة إيثارا لما يجتبيه من منافع الدنيا التي تجر إليه تبعة في الآخرة على حسب ما جاءت به الشريعة . فأما الاستكثار من منافع الدنيا مع عدم إهمال أسباب النجاة في الآخرة فذلك ميدان للهمم وليس ذلك ذم [(٣)] .

* * * * *

سعة أرض الله

١ - الآية: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٠) .

البيان: من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض فسحة ومنطلقا فلا تضيق به الأرض ولا يعدم الحيلة والوسيلة للنجاة وللرزق والحياة . وإنما هو ضعف النفس

---

(١) ابن عاشور: جـ٢٨ ص ٢٥١ .

(٢) القشيري: جـ٣ ص ٧١٩ .

(٣) ابن عاشور: جـ ٣٠ ص ٢٩٠ .

وحرصها وشحها، يخيل إليها أن وسائل الحياة والنجاة مرهونة بأرض ومقيدة بظروف ومرتبطة بملابسات لو فارقها لم تجد للحياة سبيلا . هذا القصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة هو لأن النفوس تقبل الذل والضيم وتسكت على الفتنة في الدين [١] .

٢ - الآية: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (العنكبوت: ٥٦ - ٦٠) .

البيان: إن هاجس الأسى لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك في النفس التي ترعى الهجرة فيمس الله قلوبهم بندائه الحبيب "يا عبادي" إن أرضي واسعة والخاطر الثاني: هو الخوف من خطر الهجرة خطر الموت الكائن في محاولة الخروج ثم خطر الطريق فتليها اللمسة الثانية: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ فالموت حتم في كل مكان .

ثم يأتي الخطر الثالث وهو: القلق على الرزق بعد مغادرة الوطن والمال والعمل والنشاط المألوف وأسباب الرزق المعلومة فيأتي الله بلمسه ﴿ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ فهو يرزق الناس ويهبهم وسيلة الرزق وأسبابه . فلا مجال للقلق على الرزق عند الهجرة فهم عباد الله يهاجرون إلى أرض ويرزقهم الله حيث كانوا ويشعرهم برعاية وعناية فهو يسمع لهم ويعلم حالهم ولا يدعهم وحدهم [٢] .

* * * * *

---

(١) سيد قطب: جـ٢ص ٧٤٥ .

(٢) سيد قطب: جـ ٥ ص ٢٧٤٩ .

سعة رحمة الله

الآيـة: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

البيان: هناك رحمة إلاهية عامة يتنعم بها المؤمن والكافر والبر والفاجر وذو الشعور وغير ذي الشعور فيوجدون بها ويرزقون بها في أول وجودهم ثم في مسيرة الوجود ما داموا سالكين البقاء، ورحمة إلاهية خاصة وهي العطية الهنيئة التي يجود بها الله سبحانه وتعالى في مقابل الإيمان والعبودية وتختص لا محالة بالمؤمنين الصالحين من عباده من حياة طيبة نورانية في الدنيا وجنة ورضوان في الآخرة، هؤلاء المؤمنون الذين يتقون ويجتنبون المعاصي وترك الواجبات ويؤتون الزكاة وهي الحق المالي أو مطلق الإنفاق في سبيل الله الذي ينمو به المال ويصلح به مفاسد المجتمع ويتم به إصلاح نواقصه [١].

* * * * *

الشكر على رزق الله

١ - الآيـة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢).

البيان: يذيل الله تعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فشكر العبد المؤمن للرب الخالق واجب ما دام العبد المؤمن يختص الله بالعبادة [٢].

٢ - الآيـة: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل: ١١٨).

---

(١) الطباطبائي: جـ ٨ ص ٢٧٤ - ٢٧٧ .

(٢) تفسير الشعراوي: جـ٩ ص ٧٢٧ .

البيان: يأمرهم بالأكل مما أحل لهم من الطيبات وشكر الله على نعمته إن كانوا يريدون أن يستقيموا على الإيمان الحق بالله وأن يخلصوا العبودية خالصة من الشرك، الذي يوحي إليهم بتحريم بعض الطيبات على أنفسهم باسم الآلهة المدعاة ويحدد لهم المحرمات على سبيل الحصر وليس منها ما يحرمونه على أنفسهم من رزق الله [١].

٣ - الآية: ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** ﴾ (الحج: ٢٨).

البيان: هذه كناية على نحر الذبائح في أيام العيد وأيام التشريق الثلاثة بعده. والقرآن يقدم ذكر المصاحب لنحر الذبائح لأن الجو جو عبادة ولأن المقصود من النحر هو التقرب إلى الله ومن ثم فإن أظهر ما يبرز في عملية النحر هو ذكر اسم الله على الذبيحة وكأنما هو الهدف المقصود من النحر لا النحر ذاته [٢].

٤ - الآية: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** ﴾ (الحج: ٣٤).

البيان: ليست هذه الفرائض التي تتعلق بالحج خاصة بكم، فقد جعلنا لكم جماعة مؤمنة قرابين يتقربون بها إلى الله، ويذكروا اسمه ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم ويسره لهم من بهائم الإبل والبقر والغنم [٣].

٥ - الآية: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ** ﴾ (سبأ: ١٥ - ١٦).

البيان: وقد أمروا أن يستمتعوا برزق الله شاكرين ولكنهم أعرضوا عن شكر

---

(١) سيد قطب: جـ ٤ ص ٢٢٠٠.

(٢) سيد قطب: جـ٤ ص ٢٤٢٠.

(٣) المنتخب: ص ٤٩٣.

الله وعن العمل الصالح والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم فسلبهم سبب هذا الرضاء الجميل الذي يعيشون فيه [١].

٦ - الآية: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٨٢).

البيان: وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبون [٢].

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

واشكروا له على ما أنعم به عليكم [٣].

* * * * *

عطاء الربوبية

١ - الآية: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

البيان: حينما قال تعالى لإبراهيم: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ قال إبراهيم: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ قال تعالى: ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ فخشي إبراهيم وهو يطلب لمن سيقيمون في مكة أن تكون استجابة الله سبحانه كالاستجابة السابقة أي لا ينال رزق الله الظالمون فاستدرك إبراهيم بقوله: ﴿ مَنْ آمَنَ مِنْهُم ﴾

---

(١) سيد قطب: جـ٥ ص ٢٩٠١ .

(٢) المنتخب: ص ٨٠٢ .

(٣) ابن كثير: م ٥ ص ٣١٤ .

ولكـن الله سـبحانه أراد أن يلفـت إبراهـيم إلى أن عطـاء الألوهـية لـيس كعطـاء الربوبية .

فإمامـة الناس عطاء ألوهية لا يناله إلا المؤمن أما الرزق فهو عطاء ربوبية يناله المؤمن والكافر لأن الله هو الذي استدعانا جميعا إلى الحياة وكفل لنا جميعا رزقنا[١] .

٢ - الآيـة: ﴿ **وَأَمَّـا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ (هود: ١٠٨) .

البـيان: وأمـا الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول لحظـة بعـد انتهاء موقف الحساب إلى ما لانهاية ، إلا الفريق الذي يشاء الله تأخيره عـن دخـول الجـنة مع السابقين وهم عصاة المؤمنين الذين يتأخرون في النار بمقدار توقـيع الجـزاء عليهم ، ثم يخرجون منها إلى الجنة . ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء عظيما مستديما غير منقوص ولا مقطوع [٢] .

٣ - الآيـة: ﴿ **كُـلاًّ نُّمِـدُّ هَـؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ (الإسراء: ٢٠) .

البـيان: وإنما نمد كلا الفريقين إذا اتخذا الأسباب من عطاء ربك في الدنيا وما كـان عطـاء ربـك فـيها ممـنوعا مـن أحـد . مؤمنا كان أو كافرا ما داموا قد اتخذوا الأسباب [٣] .

٤ - الآيـة: ﴿ **قَـالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنـتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَـنَّاء وَغَـوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (ص: ٣٥ - ٣٩) .

البـيان: وأوحـى إلى سـليمان أن هذا الذي أنعمنا به عليك عطاؤنا فاعط من

---

(١) تفسير الشعراوي: جـ ص ٦٠١ .

(٢) المنتخب: ص ٣٢٦ .

(٣) المنتخب: ص ٤١٢ .

شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك في الإعطاء أو المنع [١] .

* * * * *

على الله ضمان الرزق

١ - الآيـة: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١) .

البيان: ولا تقتلوا أولادكم بسبب فقر نزل بكم ، أو تخشوا من نزوله في المستقبل ، فلستم أنتم الرازقين ، بل نحن الذين نرزقكم ونرزقهم [٢] .

٢ - الآيـة: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود: ٦) .

البيان: الثقة بالله تعالى والإيمان بمشيئته لا يصحان مع الجهل بمعناهما ومواضع تعلقهما . وقد علم بنصوص القرآن وبسنن الله تعالى في الخلق وأسباب الرزق أن مشيئته تعالى لا تكون إلا بمقتضى سنته في ارتباط الأسباب بالمسببات وحكمته منها . والجهل بهذا مما أفسد على المسلمين دنياهم ودينهم وجعل جماهيرهم عالة على غيرهم فيما زعموه من أن الكسب وعدمه سواء فكانوا متواكلين أو غير متوكلين [٣] .

إن لكل مخلوق رزقا هذا حق وهذا الرزق مدخور في هذا الكون . مقدر من الله في سننه التي ترتب المتاح على الجهد . فلا يقعدن أحد عن السعي وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . ولكن السماء والأرض تزخران بالأرزاق الكافية

---

(١) المنتخب: ص ٦٧٨ .

(٢) المنتخب: ص ٢٠٠ .

(٣) المنار: رشيد رضا - جـ١٢ ص ١٤ - ١٧ .

لجميع المخلوقات، حين تطلبها هذه المخلوقات حسب سنة الله التي لا تحابي أحداً ولا تتخلف أو تحيد [١].

٣ - الآيـة: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١).

البـيان: وإذا كان أمر الأرزاق بيد الله فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر متوقع لأننا نحن ضامنون رزقهم ورزقكم إن قتلهم كان إثماً عظيماً [٢].

٤ - الآيـة: ﴿ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت: ٦٠).

البيان: لمسة توقظ القلوب إلى الواقع المشهود في حياتهم. فكم من دابة لا تحصل على رزقها ولا تجمعه ولا تحمله ولا تهتم به، ولا تعرف كيف توفره لنفسها. ولا كيف تحتفظ به معها ومع هذا فإن الله يرزقها ولا يدعها تموت جوعا. وكذلك يرزق الناس. ولو خيل إليهم أنهم يخلقون رزقهم وينشئونه. إنما الله وسيلة الرزق وأسبابه. وهذه الهبة في ذاتها رزق من الله، لا سبيل لهم إليه إلا بتوفيق الله. فلا مجال للقلق على الرزق عند الهجرة فهم عباد الله يهاجرون إلى أرض الله يرزقهم الله حيث كانوا يرزق الدابة لا تحمل رزقها ولكن الله يرزقها ولا يدعها [٣].

* * * * *

عمارة الأرض

١ - الآيـة: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (هود: ٦١).

---

(١) سيد قطب: جـ٤ ص ١٨٥٧.
(٢) المنتخب: ص ٤١٤.
(٣) سيد قطب: جـ ٥ ص ٢٧٤٩.

البيان: العمارة: ضد الخراب . أعمرته الأرض واستعمرته إذا فوضت إليه العمارة .

فالعمارة: تحويل الأرض إلى حال تصلح بها أن ينتفع من فوائدها المرتقبة منها كعمارة الدار للسكنى والمسجد للعبادة والزرع للحرث والحديقة لاجتناء فاكهتها والتنزه فيها .

والاستعمار هو طلب العمارة بأن يطلب من الإنسان أن يجعل الأرض عامرة تصلح لأن ينتفع بما يطلب من فوائدها [1] .

٢ - الآية: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (الروم: ٩) .

البيان: إن المراد بالذين من قبلهم عاد وثمود وقوم لوط وأمثالهم الذين شاهد العرب آثارهم وأن قوة الأمة هي مجموع ما به تدفع العوادي عن كيانها وتستبغي صلاح أحوالها من عدد حربية وأموال وأبناء وأزواج . ومعنى عمارة الأرض جعلها عامرة غير خلاء وذلك بالبناء والغرس والزرع وهذه آثار أمم عظيمة كانت سائدة على الأرض فزال ملكهم وخذلت بلادهم وكانت عاقبتهم الاستئصال بسبب تكذيبهم رسلهم [2] .

* * * * *

عند الله ابتغاء الرزق

الآية: ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (العنكبوت: ١٧) .

البيان: ابتغاء الرزق بشهود موضع الفاقة فعند ذلك تتوجه الرغبة إلى الله تعالى

---

(١) الطباطبائي: جـ ١٠ ص ٣١٠ .

(٢) ابن عاشور: جـ ٢١ ص ٥٦ - ٥٩ .

في استجلاب الرزق [١] .

﴿ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ رزقـا نكرة في معرض النفي أي رزق عندهم أصلا والـرزق معرفة في قولـه: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ فهي معرفة عند الإثبات عند الله أي كل الرزق عنده فاطلبوه منه [٢] .

* * * * *

فتح الرحمة وإمساكها

الآيـة: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: ٢ ، ٣) .

البيان: رحمـة الله تتمـثل في الممنوع تمثلها في الممنوح يبسط الله الرزق مع رحمته فإذا هو متاح طيب وزاد إلى الآخرة ويمسك رحمته فإذا هو مثار قلق وخوف وحسد وبخـل وربمـا مـرض وإفـراط واستهتار ويمنح الله الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في الحـياة ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح . ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكـد وشـقاء . ويهـب الله الصـحة والقـوة مـع رحمـته فإذا هي نعمة وحياة طيبة ويمسـك رحمـته فـإذا هـي بـلاء يـنفق في تحطيم الجسم وإفساد الروح . ويعطي الله السـلطان والجـاه مـع رحمـته فـإذا هـي أداة إصـلاح ومصدر أمن ووسيلة لادخار الصالح من العمل والأثر . ويمسك الله رحمته فإذا هو طغيان وبغي . ومن رحمة الله أن تحـس بـرحمة الله فـرحمة الله تضـمك وتغمـرك وتفـيض علـيك ولكـن شعورك بوجودها هو الرحمة ورجاؤك فيها وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة [٣] .

* * * * *

---

(١) القشيري: جـ ٣ ص ٩٢ .

(٢) الزمخشري: جـ ٣ ص ٢٠١ .

(٣) سيد قطب: جـ ٥ ص ٢٩٢ .

القبض والبسط

الآيـة: ﴿ مَّــن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٥) .

البــيان: المـال لا يذهـب بالإنفـاق إنمـا هـو قـرض حسن لله ، مضمون عنده يضـاعفه أضـعافا كثيرة يضاعفه في الدنيا مالا وبركة وسعادة وراحة ، ويضاعفه في الآخـرة نعـيما ومتاعا ورضي وقربى من الله ومرد الأمر في الغني والفقر إلى الله لا إلى حـرص وبخل ولا إلى بذل وإنفاق . والمرجع إليه سبحانه وتعالى في نهاية المطاف فأين يكون المال والناس أنفسهم راجعون إلى الله [١] .

* * * * *

لله ميراث السماوات والأرض

الآيـة: ﴿ وَمَـا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْـتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (الحديد: ١٠) .

البيان: والمعـنى إنكـار عدم إنفاق أموالهم فيما دعاهم الله إلى الإنفاق فيه وهـم سـيهلكون ويتركون أموالهم لمن قدر الله مصيرها إليه فلو أنفقوا بعض أموالهم فيما أمرهم الله لنالوا رضى الله وانتفعوا بما هو صائر إلى ما يرثهم [٢] .

- أي شـيء حصـل لكـم في ألا تنفقوا في سبيل الله من أموالكم ولله ميراث السماوات والأرض يرث كل ما فيها ولا يبقى أحد مالكاً لشيء فيها [٣] .

* * * * *

---

(١) سيد قطب: جـ١ ص ٢٦٥ .
(٢) ابن عاشور: جـ ٢٧ ص ٢٧٣ .
(٣) المنتخب: ص ٨٠٥ .

المشي في مناكب الأرض

الآيـة: ﴿ هُــوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (الملك: ١٥) .

البيان: أي إذا أردتم أن تضربوا في الأرض سهل عليكم ذلك [١] .

- الذلول: المنقاد . المناكب: الأطراف والنواحي والآكام والجبال .

والآية تشير إلى التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والأنهار وحفر الآبار[٢] .

- الناس لطول ألفتهم على هذه الأرض وسهولة استقرارهم عليها وسيرهم فيها واستغلالهم لتربتها وهوائها وكنوزها وأرزاقها جميعا - ينسون نعمة الله في تذليها لهم وتسخيرها والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة ويبصرهم بها في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول [٣] .

* * * * *

نعم الله لا تحصى

الآيـة: ﴿ اللّــهُ الَّــذِي خَلَــقَ السَّــمَاوَات وَالأَرْضَ وَأَنــزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْــرَجَ بِــهِ مِــنَ الــثَّمَرَات رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَــخَّرَ لَكُــمُ الأَنْهَــارَ * وَسَــخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالــنَّهَارَ * وَآتَــاكُم مِّــن كُــلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٢ - ٣٤) .

البيان: الله وحده هو الذي أنشأ السماوات وما فيها والأرض وما فيها وأنزل

---

(١) القشيري: جـ٣ ص ٦١٣ .

(٢) القرطبي: جـ١٨ ص ١٤٠ .

(٣) سيد قطب: جـ٦ ص ٣٧٣٧ .

من السحاب ماء مدرارا فأخرج بسببه رزقا لكم هو الثمرات من الزرع أو الشجر . وسخر لكم السفن لتجري في البحر تحمل أرزاقكم وتجارتكم بإذنه ومشيئته ، وسخر لكم الأنهار العذبة لتنتفعوا بها في ري الأنفس والزرع .

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين للإضاءة وإصلاح النبات والحيوان . وسخر لكم الليل للراحة والنهار للسعي . وهيأ لكم كل ما تحتاجون إليه في حياتكم مما شأنه أن يطلب سواء أطلبتموه أم لا وإن تعدوا ما أنعم الله به عليكم لا يمكنكم حصر أنواعه فضلا عن أفراده [١] .

* * * * *

الرزق والشرك

١ - الآية: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ** ﴾ (النحل: ٥٦) .

البيان: يعني الأوثان .

وفي الذين لا يعلمون قولان: الأول: إنهم الجاهلون وهم المشركون . والثاني: إنها الأصنام التي لا تعلم شيئا وليس لها حس ولا موقه [٢] .

٣ - الآية: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ (النحل: ٧٣) .

البيان: أي يعبدون ما لا يملك أن يرزقهم شيئا ولا يستطيعون أي لا يقدرون على شيء يعني الأصنام [٣] .

٤ - الآية: ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ**

---

(١) المنتخب: ص ٣٦٩ .

(٢) ابن الجوزي: ٤ / ٤٥٨ .

(٣) القرطبي: ١٠ / ١٤٦ .

مــن دُونِ اللّـــه لا يَمْلِكُـــونَ لَكُـــمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٢٨).

٥ - الآيـة: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُـــرَكَاء فِـــي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم: ٢٨).

البـــيان: أي مــن المـال والأهـل والعبـيد أي هـل يشـاركـكم عبـيدكم في أموالكـم؟ فـإذا لم ترضـوا ذلـك لأنفسكم فـلم عدلـتم لـي مـن خلقـي مـن هو مملوك لي؟ [1].

* * * * *

الرزق وكفران النعم

الآيـة: ﴿ وَضَـــرَبَ اللّـــهُ مَـــثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُـــلِّ مَكَـــانٍ فَكَفَـــرَتْ بِـــأَنْعُمِ اللّـــهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢).

البيان: يـريد بالقرية أهلها آمنة يعني من الخوف مطمئنة الخصب والدعة رزقها وفيه وجهان:

أحدهما: أقواتها، **والثاني:** مرادها. **رغدا:** فيها وجهان: **أحدهما:** طيبا.

والثاني: هنيئا من كل مكان يعني منها بالزراعة ومن غيرها بالتجارة.

فكفرت بأنعم الله يحتمل وجهين: أحدهما: بترك شكره وطاعته. والثاني: بأن لا يؤدوا حقها من مواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات [2].

* * * * *

---

(١) ابن الجوزي: ٦ / ٢٩٩.

(٢) الماوردي: ٢ / ٤١٤.

الخاتمة

(نتائج.. ومقترحات)

الرزق: هو ما ساقه الله تعالى إلى الإنسان فانتفع به سواء كان متصفا بالحل أو الحرمة أو لم يكن أي العطاء الجاري من الله تارة ودنيوياً كان أم أخروياً وللنصب تارة ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به ضرر ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ ﴾ ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ .

- وإذا كان الله وحده هو مصدر الرزق فإنه أيضا القادر على بسطه وتقديره:

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

- وبسط الله الرزق للبعض ليس معناه رضاه سبحانه وتعالى . . وكذلك ليس معنى تضييقه على البعض ليس معناه الغضب عليهم . . فإنه الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع وله الحكمة البالغة في ذلك كما يقول ابن كثي في معنى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ ﴾ .

- والله يضرب الأمثال للناس للاعتبار والتدبر فقد ظهر مثلا لشكران النعمة لسليمان عليه السلام فقال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ ولم يغتر ويفعل كقارون الذي قال عندما وسع الله عليه: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾ .

. . كما ضرب المثل بذي القرنين الذي مكن له في الأرض فلم ينسب ذلك لنفسه كما فعل قارون .

وقال: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ في حين أن صاحب الجنتين اغتر بنفسه وبما أوتي: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا *

وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ .

- كما ضرب لكفران النعم مثلا: ﴿ قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ كما فعل بأهل سبأ ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾ في حين ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ .

- وتدبير الرزق أمر كتبه الله على نفسه ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

- ذلك أنه خلق الخلق بعد أن ضمن لهم الرزق ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (فصلت: ٩ - ١١) .

- وإذا كان ضمن (المحرم - المكروه) فهو عمل غير صالح بالنسبة للمكروه ولا يعتد به شرعا بالنسبة للمحرم وهي من الخبائث التي ينهي عنها الإسلام لذا فإن المسلم عند استجابته لهذه الدعوة الإلهية وهو ضرب من ضروب الاستهلاك يحقق أمرين:

- **الأول**: الفائدة الدنيوية وهي ما يترتب على هذا الاستهلاك من أمتعة مادية تقيم حياة الإنسان وتعمل على استمرارها .

- **ثانيا**: وهي عبارة عن تقويم الإنسان لنفسه ليتم العبادة على الشكل السليم والصحيح: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» .

وقال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ يعني: المطر وقال: ﴿ وَمَا أَنزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ فالناس كما يقول الرسول ﷺ: «الناس شركاء في ثلاث: الماء، والكلأ، والنار».

- وهذه الأرض إضافة إلى ما فيها من موارد جميعها لبني البشر مذللة أيضا لهم وما عليهم إلا أن يمشوا في مناكبها ليأكلوا من رزق الله.. وهذه دعوة مفتوحة للسعي في هذه الأرض طلبا للكسب والارتزاق لأن معايشها فيها مما يؤكد أن الرزق لابد من سعي ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾ وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ وهذه دعوة إلى العمل.. وإلى التنمية.

- فالإنسان هو صانع التنمية وهو محورها وهدفها ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ والمقصود هنا هي نتاج العمل الصالح الذي هو الواجب المندوب - المباح. ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾.

- والمؤمن والكافر في الرزق من عند الله سواء ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ ﴾ ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾.

- الإنفاق في سبيل الله من إجراءات شكر النعمة والمنعم الرازق ﴿ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ والسر أفضل حتى لا تعلم يمينه

ما تنفق شماله ولا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

– ومن الرزق الواجب ﴿ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ .

﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ .

﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم ﴾ .

– على أن التقوى مفتاح الرزق: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾

.. وللأسف فهناك من يكذب: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ويشركون بالله ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ .

* * * * *

المراجـع

١- ابـن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) زاد المسير في علم التفسير ٩ مجلد - دمشق: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٢- ابن الخطيب - أوضح التفاسير - المطبعة المصرية - القاهرة ط ١٩٧٨ .

٣- ابـن عاشـور: محمـد الطاهـر - التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر ط ١-١٩٤٨ .

٤- ابـن كـثير ، أبـو الفـداء إسماعيل ، تفسير القرآن الكريم - ٧ جـ. بيروت: دار الفكر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٥- ابـن مـنظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب ، ١٥ ج ، - بيروت: دار صادر .

٦- الأصـفهاني: أبـو القاسـم الحسـين بـن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ / المفـردات في غريـب القـرآن ، تحقـيق وضـبط محمـد سيد كيلاني) بيروت: دار المعارف .

٧- الجـرجاني: الشـريف علي بـن محمـد / كـتاب الـتعريفات ، ضـبطه وصـححه جماعـة مـن العـلماء بإشـراف الناشـر - بـيروت دار الكتـب العلمـية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / ٢٦٦ ص ، ٢٤ سم .

٨- الـرازي: محمد/ التفسير الكبير: تفسير فخر الدين الرازي ، ٨ جـ. بيروت: دار الفكر ١٣٩٨ هـ - ١٧٧٨ م .

٩- رضـا: محمـد رشـيد رضـا / تفسـير القـرآن الحكـيم المسـمى تفسـير المـنار للأسـتاذ الإمـام محمـد عـبده . ١٢ مجلـد - القاهـرة: الهيـئة المصـرية العامـة للكتاب ، ١٩٧٢ م .

١٠- سيد قطب: في ظلال القرآن - دار الشروق - بيروت ط ١٣ - ١٩٨٧ م

١١- الشوكاني: محمد بن علي - فتح القدير - بيروت ط ١٩٨٧ م .

١٢- الطبري: ابن جرير - جامع البيان عند تأويل آي القرآن - بيروت ط - ١٩٨٤ م .

١٣- عبدالباقي: محمد فؤاد / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - القاهرة: دار ومطابع الشعب ٧٨٢ ص ، ٢٨ سم (كتاب الشعب) .

١٤- الشعراوي: محمد متولي الشعراوي - تفسير الشعراوي - دار أخبار اليوم القاهرة ١٩٩١ م .

١٥- الفيروز آبادي: مجدي الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧) / بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ، ٦ مجلد - بيروت: المكتبة العلمية .

١٦- القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠ مجلد ، حققه أحمد عبدالحليم البردوني ومصطفى السقا وأبو إسحاق إبراهيم أطفيشن ، القاهرة: وزارة الثقافة ١٣٨٧ هـ - ١٩٧٦ م .

١٧- المحابي - الحارث بن أسد: المكاسب دراسة وتحقيق عبدالقادر عطا - بيروت ١٩٨٧ م .

١٨- الألوسي: محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن ١٩٨٧ م .

١٩- القشيري: لطائف الإشارات الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٢ - ١٩٨١ م .

٢٠- الماوردي: أبو الحسن علي بن حبيب (٣٦٨ - ٤٥٠ هـ) النكت والعيون تفسير الماوردي ٤ مجلد ، تحقيق خضر محمد خضر ، مراجعة عبدالستار أبو غدة . الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (التراث الإسلامي - ١٠) .

٢١- المنتخب في تفسير القرآن الكريم المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ط ١٢ / ١٩٨٦ م .

٢٢- مجمع اللغة العربية / مجمع ألفاظ القرآن الكريم . القاهرة: دار الشروق ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م . ٧٥٥ ص ، ٢٧ . ٥ سم .

٢٣- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت/ الموسوعة الفقهية ، ٥ مجلد الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٠٠ هـ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٠ م - ١٩٨٥ م .

* * * * *

الفهـــرس

* * * * *